سوريتنا
www.souriatnapress.net
souriatna@gmail.com
السنة الرابعة | العدد (164) | 9 تشرين الثاني 2014

من المحتل الى المحرر، "السكّة" معبر درعا المُميت

ولادة عشرات الأجنة المشوهة في الحسكة

إدلب شبه خالية من شبابها
وموجة غضب لفرز الاحتياطيين على الجبهات

القامشلي: شتاءٌ أخر قاسٍ، غلاء وحاجات!!

الزواج المبكر في دير الزور
المعدلات في ارتفاع، وأرامل في سن السابعة عشر

حاجز السكة في درعا | عدسة سوريتنا

إدلب شبه خالية من شبابها
وموجة غضب لفرز الاحتياطيين على الجبهات

■ إدلب - فؤاد الأحمر

بدأت الشرطة العسكرية في إدلب حملة واسعة لملاحقة المطلوبين للتعبئة الاحتياطية في الجيش وحسب مصدر خاص بسوريتنا من داخل شعبة تجنيد إدلب "هناك 2880 شابا مطلوبا للتعبئة الاحتياطية في محافظة إدلب، وأوضح المصدر أن استدعاء هؤلاء الشبان لم يكن بشكل عشوائي، وإنما حسب اختصاصاتهم أثناء خدمتهم الإلزامية وأن أغلب اللذين طلبوا للسحب الاحتياطي كانت اختصاصاتهم مدفعية ومدرعات وإشارة وتراوحت مواليدهم بين عامي 1980 وعام 1991.

اعتقال موظفين مطلوبين للاحتياط

كثفت الشرطة العسكرية في إدلب من دورياتها للقبض على المطلوبين للسحب الاحتياطي في تاريخ 18 تشرين الأول، داخل المدينة وعلى مداخلها لكي تمنع المطلوبين من الهرب إلى المناطق المحررة.

ولوحظ في هذه الحملة غياب عدد كبير من الموظفين عن وظائفهم وخاصة بعد أن اعتقلت الشرطة العسكرية ستة موظفين من البريد واثنين من شركة الكهرباء ومثلهم من البلدية، ويذكر أهالي الموظفين أن شعبة التجنيد كانت قد سلمت أبنائهم تبليغات للالتحاق بالتعبئة الاحتياطية قبل يوم من اعتقالهم وكان من بين الموظفين المطلوبين للخدمة الاحتياطية "يوسف المر"، 30 سنة، الذي قال "سلمني شرطي التبليغ للالتحاق بالسحب الاحتياطي خلال مدة لا تتجاوز أربع وعشرين ساعة فحزمت أغراضي وأوراقي الثبوتية وجواز سفري وخرجت من المدينة في نفس اليوم مستغلاً أن الشرطة العسكرية لن تقوم بنشر أسمي على الحواجز قبل أن تنهي مهلة الالتحاق بالسحب، فسافرت إلى تركيا وبدأت أبحث عن عمل لكي أعيل أسرتي".

ويكشف مصدرنا من داخل شعبة التجنيد أنه حتى يوم السبت الفائت لم يلتحق بالسحب الاحتياطي سوى ستة شبان، أربعة من شعبة تجنيد إدلب وواحد من شعبة جسر الشغور، وواحد من شعبة أريحا، بينما ألقت الشرطة العسكرية القبض على ما يقارب 300 شاب كانت أسماؤهم قد ذكرت ضمن قوائم المطلوبين للسحب الاحتياطي.

يقوم بعض ضباط إدارة التجنيد العام والتعبئة الشمالية باستغلال تخوف الشبان من أن تكون أسماؤهم ضمن قوائم السحب الاحتياطي فيأخذون منهم المال مقابل البحث عن أسمائهم ضمن قوائم المطلوبين وإبلاغهم بالنتيجة، ويقول "شامل" وهو من أبناء إدلب "منذ أن سمعت بوصول قوائم تحمل أسماء مطلوبين للسحب الاحتياطي إلى شعبة التجنيد ، لم أخرج من المنزل خوفاً من أن يكون اسمي بين المطلوبين واعتقل من قبل الشرطة العسكرية، إلى أن تعرف أبي على أحد ضباط شعبة التجنيد واتفق معه أن يبحث عن اسمي في قوائم المطلوبين مقابل أن يأخذ 50 ألف ليرة وبعد يومين اتصل بنا وأخبرنا أنني لست مطلوبا كونهم لا يحتاجون اختصاصي في هذه الفترة، ولكن من الممكن في الأشهر القادمة أن يقوموا بسحبي".

عادوا إلى أمهاتهم جثثا بعد يومين من سحبهم

وجد الشبان الذين سحبوا إلى التعبئة الاحتياطية أنفسهم حاملين السلاح على جبهات القتال التي كانت مشتعلة في تلك الفترة على أطراف المدينة بمواجهة مقاتلين مخضرمين عسكرياً من جبهة النصرة وبعض الفصائل الإسلامية الأخرى.

يقول "محمد" الذي تمكن من الانشقاق بعد أسبوع من سحبه "قبض علي أحد حواجز الأمن في المدينة وقضيت ليلة في فرع الشرطة العسكرية ثم حولت إلى معسكر المسطومة مع ثلاثين شابا قبض عليهم في النفس اليوم لإلحاقهم بالتعبئة الاحتياطية، قابلنا عميداً وأعطانا محاضرة طويلة عن واجبنا في خدمة الوطن ومكافحة الإرهاب وقام بعدها بفرزنا على الجبهات وفي اليوم التالي كل واحد منا رشاش (روسية) ووضعونا في سيارة (زيل) وتوجهوا بنا إلى الحواجز الموجودة على أطراف المدينة، التي كانت تتعرض لهجوم شرس من قبل جبهة النصرة في ذلك اليوم".

أبدى الكثير من أهالي الشبان المطلوبين للسحب الاحتياطي استياءهم وغضبهم الشديد من الاستراتيجية التي يتبعها ضباط الجيش في المدينة مع المسحوبين للتعبئة الاحتياطية، وخاصة بعد أن عاد ثلاثة شبان جثثاً إلى أهاليهم بعد يومين من سحبهم، مما دفع الكثير من الأهالي بحث أبنائهم على الانشقاق كي ينجوا بحياتهم، وكان من بينهم "محمد ك" الذي يكشف لنا عن سبب انشقاقه قائلاً: "مضى على تسريحي من الجيش تسع سنوات نسيت فيها ما كنت قد تعلمه، مع إنني طوال خدمتي في الجيش لم أجرب الرمي بأي سلاح، فوجدت نفسي فجأة في الصف الأول على جبهة مشتعلة بالأسلحة الثقيلة والقذائف، وبيدي سلاح لا أعرف طريقة استعماله ولا كيف أحمي نفسي به وطوال الوقت أرى رفاقي يتساقطون الواحد تلو الآخر لضعف خبرتهم العسكرية، وفي ذلك الوقت بدأت بالتفكير بالهروب وبعد أسبوع طلبت من الضابط إذن مغادرة 24 ساعة إلى داخل المدينة، وعندما وصلت أخذت هوية أخي الصغير وسافرت بها إلى مدينة معرة مصرين المحررة".

600 ألف تكلفة الهروب من السحب

"جميل" يروي لنا قصة هروبه من المدينة: "بعد أن تأكدت أن اسمي موجود ضمن قوائم المطلوبين للسحب الاحتياطي تركت بيتي وزوجتي وأولادي، واختبأت عند أحد أصدقائي، دلني أحد أقربائنا على ضابط في الشرطة العسكرية برتبة مقدم واسمه "رشاد" والذي طلب من أبي مبلغ 600 ألف مقابل إزالة اسمي من على الحواجز لمدة أسبوع كي أتمكن خلاله من الهرب، وفي اليوم التالي أرسلنا له المبلغ وبعد يومين خرجت من المدينة متجها إلى أحدى القرى المحررة".

المتجول اليوم في مدينة إدلب سيرى نساء وشيوخاً وأطفالاً، قلة هم الشبان الذين بقوا أمام خيارين، إما الالتحاق بصفوف القوات النظامية، أو الهرب من المدنية، أو الاختباء عن كل عين.

مدرسة الحياة في القابون تعلن تعليق الدوام فيها حتى إشعار آخر

أعلنت إدارة مدرسة الحياة في القابون يوم السبت تعليق الدوام الدراسي فيها حتى إشعار آخر، وذلك بعد يومين من استشهاد ثلاثة عشر طفلاً وجرح عشرات أخرين نتيجة قصفها من قوات النظام.

وكانت منظمة الأمم المتحدة للطفولة (يونيسيف) أدانت قصف المدرسة، بلسان المتحدثة باسم المنظمة في سوريا هناء سنجر.

وقالت سنجر : "إن الهجوم يُعد تذكيرا مروعاً بالثمن الباهظ الذي يدفعه أطفال سوريا في الصراع الوحشي الذي دخل الآن عامه الرابع."، وأضافت أن هجوم القابون هو الأحدث في سلسلة من الهجمات الوحشية على المدارس والمعلمين والطلاب.

وقد رصدت الأمم المتحدة، خلال الأشهر التسعة الأولى من العام الحالي، وقوع خمس وثلاثين مجزرة أودت بحياة أكثر من مئة طفل وخلّفت إصابة نحو ثلاثمئة آخرين، وقالت سنجر إن الأرقام الفعلية أكبر بكثير، وإن هناك ما يشير إلى أن الهجمات في بعض المناطق كانت متعمدة.

ودعت سنجر جميع أطراف النزاع إلى تحمل مسؤولياتها تجاه الأطفال وحمايتهم وحماية المدارس والبنى التحتية المدنية، وشددت ممثلة اليونيسيف في سوريا على أن تكون المدارس مناطق آمنة وملاذا للأطفال يستطيعون التعلم فيها دون خشية من الموت أو الإصابة.

من شهداء القصف الأسبوع الماضي

ولادة عشرات الأجنة المشوهة في الحسكة

■ الحسكة - عدنان أبو كنان

كشفت مصادر طبية في مشفى الحسكة الوطني ارتفاعاً غير مسبوق في عدد المواليد والأجنة المشوهة في مناطق عديدة من ريف الحسكة.

وأعلن الطبيب "محمد. ن" في حديث إلى "سوريتنا" أن مستشفى الحسكة الوطني استقبل في غضون الأشهر الثلاثة الماضية أكثر من 15 حالة ولادة لأجنة مشوهة، غالبية هذه الحالات كانت ولادة أجنة دون دماغ والتي توصف طبياً بالطفل الضفدع".

وتوقع الطبيب أن تصل مئات الحالات إلى المشفى خلال الأشهر المقبلة، وأرجع هذه الزيادة الخطيرة في عدد الأجنة المشوهة والأمراض التي تعاني منها النساء والرجال على حد سواء "لما تشهده مناطق ريف الحسكة من ظروف غير صحية وبيئية ملوثة".

وكان نشطاء في محافظة الحسكة قد حذروا في وقت سابق، من تزايد التلوث الناتج عن إلقاء النظام لقنابل فوسفورية على مناطق في ريف الحسكة الجنوبي والشرقي، إضافة لازدياد عمليات تكرير النفط بطرق بدائية دون أي ضوابط بيئية أو صحية.

الطبية "مها" عاينت كثيراً من حالات تشوه الأجنة في مشافي الحسكة خلال الأشهر الستة الماضية "إن حالات التشوه التي شهدتها المشافي لا تقتصر على حالة "الطفل الضفدع" إنما هناك حالات أخرى كعدم التحام الأنسجة مع الفقرات بحيث يكون النخاع الشوكي مكشوف تماما أو ما يعرف طبياً بالقيلة السحائية، بالإضافة إلى حالات تشوهيه أخرى كأن يولد الطفل بلا فتحة شرجية".

وتضيف " كما أن هناك تشوهات تصيب الأطفال عقب الولادة مباشرة، بحيث يصاب الجهاز التنفسي لدى الطفل المولود، ما يؤدي إلى الوفاة مباشرة، نتيجة نقص الأوكسجين، ويرجح أن تكون تلوث بيئة الأم الحامل سبباً لذلك".

من جهة أخرى أفاد مصدر طبي في مدينة القامشلي لسوريتنا " أن غالبية حالات لتشوه التي تصل مشافي مدينة القامشلي، هي من مناطق تركز تكرير النفط الخام في ريف المدينة كبلدات رميلان والجوادية والقحطانية".

وأوضح المصدر" أن النواتج التي يخلفها تكرير النفط بطرق بدائية، كالأدخنة البيضاء التي ترافق عملية فرز المشتقات النفطية، ومادة الفسفور المترسبة عقب عمليات الحرق، تعد سبباً رئيسياً في تشوه الولادات الحديثة".

وأكد المصدر" أن ظروف الحرب قضت على إمكانية تأمين الرعاية الصحية المطلوبة، وخاصة في الأرياف النائية، إذ تخضع غالبية قرى ريف القامشلي، لسيطرة فصائل مسلحة تتعدد انتماءاتها وولاءاتها، ما عقد مسألة ايصال الأدوية وإيجاد مراكز صحية تتكفل بتقديم الأدوية والاستشارات الطبية اللازمة".

انعدام الخدمات الطبية الأساسية وفقدان مواد التدفئة وغياب الشرط الصحي في غالبية مناطق الحسكة، أدى لارتفاع حالات التشوهات الخلقية.

القيلة النخاعية السحائية:

هي شق مفتوح في العمود الفقري، يحصل عندما لا تكون عملية اغلاق العمود الفقري والنخاع الشوكي سليمة.

تبرز الأغشية المحيطة بالنخاع الشوكي (spinal cord) لخارج الفقرة المفتوحة، وتخرج بعض الأجزاء العصبية المغلفة بالأغشية من النخاع الشوكي إلى الخارج، من الجهة الخلفية.

- انعدام الدماغ Anencephaly: "اللادماغية أو انعدام الدماغ": هي إحدى التشوهات التي تصيب القناة العصبية (المخ على وجه خاص) وفيه تغيب معظم فصوص المخ، وعظمة الجمجمة الأمامية، وفروة الرأس، وتحدث مثل هذه التشوهات بين اليوم الثالث والعشرين إلى السادس والعشرين من بداية الحمل، ويولد الأطفال في هذه الحالة مع غياب الجزء الأمامي من المخ، وباقي أجزاء المخ الموجودة نجدها مكشوفة وغير مغطاة بالعظام أو الجلد.

النظام يجبر أبناء الساحل على الخدمة في جيشه

أعلن فرع مكتب الأمن الوطني في الساحل بدء قبوله "عناصر متعاقدين" من أبناء الساحل السوري لصالح جيش النظام براتب يصل إلى ثمانين ألف ليرة سورية شهرياً.

وورد في الإعلان الذي أُلصق على جدران طرطوس واللاذقية وعلى أبواب محالها أن المتعاقد يجب أن يكون بعمر مقبول دون أن يذكر الإعلان عمراً معيّناً، كما لفت إلى إمكانية تسوية أوضاع المتخلفين عن الاحتياط والفارين من الخدمة الإلزامية والمنشقين والمدعوين للاحتياط.

وذُيّل الإعلان بأرقام هواتف محمولة، مرتبطة بمكاتب في مدينتي طرطوس واللاذقية، وفي مناطق الشيخ بدر والقدموس والدريكيش والشيخ سعد، بدا أنها للاستفسار عن أي تساؤل قد لا يوضحه الإعلان.

وفي ذات السياق، أفاد ناشطون أن قوات النظام في مدينتي طرطوس واللاذقية بدأت بنشر حواجز في الشوارع الرئيسية لسحب المطلوبين للخدمة الإلزامية، والفارين من الاحتياط، وأضافوا أن دوريات أمنية باتت في الأيام الأخيرة تداهم المقاهي والمطاعم بحثاً عن شبان متخلفين عن الخدمة الإلزامية أو الاحتياط.

الجمهورية العربية السورية
القيادة العامة للجيش والقوات المسلحة
مكتب الأمن الوطني

إعلان
لحماة الوطن

نعلن عن قبول عناصر متعاقدين لصالح الجيش العربي السوري مكتب الأمن الوطني مقاتلين ذو أعمار مقبولة براتب يصل الى ثمانين ألف ليرة سورية، ويتم تسوية أوضاع المتخلفين عن الاحتياط والفارين من الخدمة الإلزامية والمنشقين والمدعوين للاحتياط وتحسب للمكلفين خدمة الزامية (حين تواجده في الخدمة).

قبول الطلبات في جميع مراكز الساحل السوري.
النصر لسورية

- المكتب الرئيسي: الشيخ سعد هـ ٠٩٤٧٣٢٥٠٢٦
- مكتب طرطوس دوار القدارة: هـ ٠٩٥٥١٠٨٥٣٤
- مكتب الشيخ بدر: هـ ٠٩٤٤٩٧٩٤٧٦
- مكتب القدموس: هـ ٠٩٣٣٤٩٣٠٩٥
- مكتب بانياس: هـ ٠٩٩٩٤٦٥٨١٩
- مكتب الدريكيش: هـ ٠٩٣٣٣٨٨٩٤١
- مكتب اللاذقية- كرسانا: هـ ٠٩٦٩٣٧٤٥٢٦

سانا: أطلقنا قسم اللغة العبرية لنخاطب مواطني الجولان المحتل !!

أطلقت وكالة "سانا" الناطقة باسم النظام يوم الأحد الماضي خدمة بث أخبار على موقعها على الإنترنت باللغتين العبريّة والفارسيّة.

واعتبر مراقبون أن إطلاق اللغتين هاتين مع بعضهما بعضاً بمثابة مُخاطبة "العدو" و"الصديق" المعلنَين، وأوضحت الوكالة أنّ استخدامها للغة العبرية هو في إطار "مواجهة الحرب الإعلامية التي تُشن ضد سورية."

وقال مدير عام وكالة "سانا" أحمد ضو في تصريح لـ "فرانس برس": "الغاية من اللغة العبريّة هي الوصول إلى المواطنين في الجولان المحتل، وإلى العديد من العرب الموجودين في فلسطين المحتلة الناطقين بالعبريّة"، معتبراً أنّ "هناك تشويهاً للمعلومات التي تُنشر عن سورية في وسائل الإعلام".

ويعمل ستة محررين في قسمي اللغتين العبرية والفارسية، اللذين سيركزان على أخبار سورية بشكل خاص، حسب ما نقلت "فرانس برس".

الإدارة الذاتية تمنع تعدد الزوجات وتلغي المهور في "مقاطعة الجزيرة"

أصدرت الحاكمية المشتركة لمقاطعة الحزيرة شمالي سوريا المرسوم التشريعي رقم /22/لعام 2014 والمتضمن (المبادئ الاساسية والاحكام العامة الخاصة بالمراة).

وتضمنت المبادئ الاساسية للمرسوم الجديد ثلاثين بنداً أبرزها منع تعدد الزوجات وإلغاء المهر باعتباره قيمة مادية هدفها استملاك المرأة كما ورد في البند رقم 11، والمساواة بين الرجل والمرأة في الشهادة من حيث القيمة القانونية وفي كافة المسائل الإرثية.

كما منع المرسوم تزويج الفتاة قبل بلوغها الثامنة عشرة من عمرها، وجرّم القتل بذريعة الشرف واعتباره جريمة مكتملة الأركان المادية والمعنوية والقانونية، وفرض عقوبة مشددة ومتساوية على مرتكب الخيانة الزوجية من الطرفين.

وتتلخص صلاحيات الحاكمية المشتركة في المقاطعة بإصدار القوانين التي يقرها المجلس التشريعي للإدارة الذاتية، والقرارات والأوامر والمراسيم وفقاً للقانون، إضافة إلى دعوة المجلس التشريعي المنتخب للانعقاد خلال خمسة عشر يوماً من إعلان نتائج الانتخابات، ويرأسها حميدي دهام العاص وهدية يوسف.

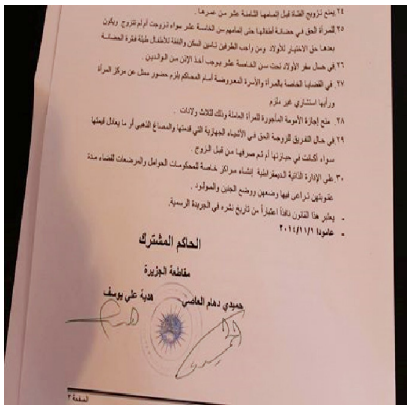
الحاكم المشترك
مقاطعة الجزيرة
هدية علي يوسف
حميدي دهام العاصي

الهيئة العامة لشؤون اللاجئين الفلسطينيين تبدأ عملها في مخيم اليرموك

افتتحت الهيئة العامة لشؤون اللاجئين الفلسطينيين في الحكومة السورية المؤقتة يوم الجمعة مقرها الأول في مخيم اليرموك بدمشق.

وقال مدير الهيئة أيمن أبو هاشم لـ "سوريتنا": "نحن نسعى من خلال مقرنا في مخيم اليرموك إلى تقديم المساعدات والخدمات الضرورية للمحاصرين داخل المخيم، ونعمل حالياً على حل مشكلة المياه التي باتت من أبرز المشكلات التي يعاني منها السكان في المنطقة."

وأوضح أبو هاشم أن جهوداً حثيثة تبذل في مخيم اليرموك لحل مشكلة المياه من خلال استخدام المضخات اليدوية، كبديل عن مضخات المياه الكهربائية في ظل انقطاع التيار الكهربائي.

وأضاف أبو هاشم: "سيهتم المقر أيضاً بتدريب الشباب على إعداد وتنفيذ مشاريع صغيرة تناسب الإمكانات المتاحة في المخيم." لافتاً إلى أن الهيئة ستعتمد على المقومات الذاتية المتوفرة في المخيم، وستستفيد من الكفاءات العلمية والأكاديمية في سبيل تخفيف آثار الحصار.

وجاءت هذه الخطوة تنفيذاً لخطة الهيئة لِنَقل مقارها وأنشطتها إلى الأراضي السورية، والعمل المباشر بين الأهل في المخيمات والتجمعات الفلسطينية والسورية، وأكد مسؤول في الهيئة أنه سيتم قريباً افتتاح مقر الهيئة في شمال حلب.

القامشلي: شتاءٌ آخر قاسٍ، غلاء وحاجات!!

■ القامشلي - دانا حسن

مع بداية كل فصل شتاء، ومنذ اندلاع الثورة السورية يخرج مارد البرد من قمقمه المخيف مرّة أخرى بعد سبات، ليخيف الشعب السوري، بردٌ يسبّب الأمراض في الوقت الذي يعاني فيه الشعب السوري نقصاً حاداً في الدواء، بالإضافة إلى نقص حادّ في مادة المازوت، نتيجة لتوقّف العديد من المصافي النفطية عن العمل أو سيطرة تنظيم الدولة الإسلاميّة عليها وقطعها عن الشعب وتصريفها لصالح أعماله، وانقطاع التيار الكهربائي المستمر في أغلب المناطق السوريّة، لا سيما في مناطق الجزيرة / الحسكة بالإضافة إلى الاستغلال المُمَارَس والتحكّم بالأسعار من قبل بعض أصحاب النفوس الضعيفة، الذين امتهنوا الاتجار بالثورة، وفي الآونة الأخيرة جادت السماء على أهالي مدينة القامشلي بالغيث معلنة بذلك قدوم فصل الشّتاء، الأمر الذي كان بالنسبة للأغلبية صفّارة إنذار، حيث أنّ الشتاء يحمل لهم في طيّاته مشكلاتٍ ومصاعب جمّة بدايةً من تأمين الملابس الدافئة وانتهاءً بالدفء الذي غالباً ما يأتي من "السخّانات" أو "مدفأة المازوت" ناهيك عن تحوُّل الشوارع إلى برك من الماء والوحل.

في فصل الشتاء من البديهي أن يرتدي الناس ثياباً دافئة، ولكن لا تلبّي هذه الحاجة (ارتداء ثياب دافئة) لدى أهالي مدينة القامشلي نظراً للارتفاع الهائل في الأسعار، فحتى الثياب كان لها النصيب الأكبر في الغلاء الجليّ، فسعر أي مادّة مهما كانت نوعيتها مقترنة بارتفاع أو هبوط سعر صرف الدولار.

يقول أحد المواطنين من مدينة القامشلي (و. ح): "هذا الشتاء سيكون قاسياً وهذا واضح من المطر الغزير الذي انهمر، وموجة البرد التي هاجمتنا في اليومين الأخيرين بشكل مفاجئ، مادة المازوت متوفرة ولكن بأسعار غالية، لا يمكننا الشراء، ولا أريد أن أتذكّر الشتاء الماضي وكيف عشناه، كنّا نستعمل كراسينا الخشبية لحرقها، لنحصل على بعض الدفء، كل ما نريده أن تستطيع الإدارة الذاتية الديمقراطية بمؤسساتها المسؤولة عن هذه الأمور أن تساعدَ الناس على درء أخطار البرد القادم، طالما أنهّا وكّلت نفسها جهةً حامية للشعب ومخوّلة لتحقيق متطلباته الضروريّة".

بينما يرى المواطن (أحمد حسين) وهو مدرّس: "بأنّ المؤسسات المسؤولة عن توزيع مادة المازوت على الشعب استعداداً للشتاء، قد قامت بمهماتها على أكمل وجه، لكنّ العلّة في الناس الذين تأخّروا في التسجيل على احتياجهم من المازوت، كونها أعلنت في أوقات ماضية عن استعدادها التامّ لتوفير هذه المادة بأسعار أقلّ من الأسعار المتعارف عليها.

وجدير بالإشارة أنّ معظم أهالي القامشلي تمنعهم ضيق ذات اليد من شراء مادة المازوت، الأمر الذي يدفعهم إلى تشغيل سخانات كهربائية في المنزل ولو كان ذلك يمنع البرد عنهم بنسبة قليلة أو حتى لفترةٍ زمنيّة قصيرة لا تكاد تُذكَر نظراً لعدم تزويدهم بالكهرباء إلا نادراً، بالإضافة إلى ضعف الشبكة الكهربائية التي لا تتحمل الكمّ الزائد من الحمولة الكهربائيّة، أما المولّدات الكبيرة الخاصّة، فذلك أمر مفروغ منه لأنها تتطلب (أمبيرات) أكثر من المولّدات الكهربائية الخاصة التي أصبحت بدورها تجارة رائجة هذه الأيّام حتى تكون قادرة على تشغيل (سخّانة).

يقول المواطن (عثمان سعيد) من القامشلي، وهو أب لخمس بنات ويعمل مزارعاً: "أنّ وضعه في حالة يرثى لها، حيث أن مردوده الزراعي لا يوفّر له سبل العيش التي تمكنه من شراء المازوت، لينعم بالدفء في الشتاء".

أما المشكلة الكبرى التي يعاني منها أهالي مدينة القامشلي وتعدُّ معضلةً تقف في وجه الحركة المجتمعية لأبناء هذه المدينة، فهي مشكلة تأمين مادة المازوت التي تعد بمثابة قوتٍ لعربات النقل في المدينة من حافلات وغيرها، ناهيك عن كون المازوت الوقود الأساسي لإشعال المدفأة، والكثير من أهالي القامشلي يذكرون في السنوات الماضية كيف كان المازوت شيئاً أقرب إلى الخيال.

ورأينا أحد المواطنين في مدينة القامشلي القاطنين في قبو مع أفراد عائلته، تعرّض منزله لتسرّب المياه نتيجة الأمطار الأخيرة التي انهمرت في ظلّ أخطاء وإهمال الصرف الصحي، الذي يتسبّب بمشاكل يصعب التغلّب عليها إذا لم تتدخّل آليّات مختصّة، وفي ظلّ الفوضى الحالية والاضطرابات غالباً ما يكون هذا الأمر صعباً للغاية، ومع تزايد الهجرة خفّت اليد العاملة وأغلب البيوت فارغة من الشباب.

في الأوقات السابقة كانَ الأهالي يشتكون من سياسات النظام المبنية على أساس حرمانهم من المشتقات النفطية في الحياة اليومية منذ بداية اندلاع الثورة السورية، لكن في الوقت الراهن الناس يشتكونَ من سياسات لا يمكن تعدادها تبدأ من أصحاب المصافي النفطية البدائية الخاصّة لا تنتهي بأصحاب محطات الوقود الذين يمتهنون الاستغلال وإخفاء مادة المازوت لبيعها عند اشتداد البرد بأسعار باهظة، وبعد أن كان أهالي مدينة القامشلي يتغنون بجملة (النّار فاكهة الشتّاء) كلّما شرعوا بدخول منازلهم وهم مقبلين على إشعال المدفأة المدللة في وسط الغرفة، فقد صارت الأغطية الملجأ الوحيد لهم لتَحول بينهم وبين البرد.

من المحتل الى المحرر، "السكة" معبر درعا المُميت

■ درعا - سارة الحوراني

"معبر السكة أو معبر رفح " هو المسمى الذي يطلقه الأهالي على نقطة المرور الوحيدة ما بين الأحياء الخاضعة لسيطرة المعارضة "مخيم درعا وطريق السد ودرعا البلد"، والأحياء التي تسيطر عليها قوات النظام السوري "درعا المحطة" بشكل مباشر. ويشكل العبور منه رحلة مليئة بالمخاطر، دفع الكثير من الناس حياتهم ثمناً للمرور عبره، إما قنصاً أو اعتقالاً.

أحمد، طفلٌ لم يتجاوز الخامسة عشر من عمره، كان يعمل على عربة لنقل الأمتعة، بين المنطقتين المحررة والخاضعة لسيطرة النظام، مقابل 200 ليرة سورية للرحلة الواحدة، لكنه ترك عمله منذ عام تقريباً نظراً لاستهدافه بشكل مباشر من قبل القناصة المنتشرين على الأبنية المرتفعة، والتي تحولت إلى حواجز تابعة للنظام السوري، يقول أحمد: "بعد وفاة والدي بت معيلاً لأسرتي المكونة من ستة أطفال، أنا أكبرهم، تركت المدرسة واستأجرت عربة من صديق لي وبدأت العمل في نقل الأمتعة للعابرين خلال معبر السكة، الذي يمتد إلى مسافة تزيد عن 50 م فقط، غالباً ما كنت أعود إلى منزلي بمبلغ جيد يؤمن لنا قوت يومنا وسد حاجة أسرتي، لكني شهدت مقتل العديد من زملائي برصاص قناصة النظام بشكل مباشر، على الرغم من أننا كنا نأخذ الإذن من الضابط المسؤول عن الحاجز للمرور، بعد تفتيش الأمتعة وبرفقة صاحبها".

في ذاكرة محمد العديد من القصص المرتبطة بهذا المكان "استشهد صديقي برصاص قناصة اخترقت رأسه، لم يتجاوز العاشرة من العمر، لقد سقط على الأرض بعد تفجر رأسه بشكل شبه كامل، لتختفي ملامحه وضحكته وتتحول إلى أشلاء ودماء سقطت بغزارة على الشارع"، ويضيف: "ما تزال صورته عالقة في ذهني حتى اليوم".

لم يكن القنّاص وحده ما كان يعانيه أحمد أثناء عمله، بل أيضاً الاعتداء عليه بالضرب من قبل قوات النظام المتمركزة على حاجز السكة، وسرقة بعض الأمتعة التي يقوم بنقلها أمام صاحبها، الذي لا يجرؤ على

النطق بأي كلمة، فقط الصمت واللعنات (لاحقا) بعد اجتياز الحاجز".

محمد وهو موظف في أحد الدوائر الرسمية في مدينة درعا، مجبر يومياً على اجتياز المعبر، من وإلى منزله في الأحياء المحررة، حيث يقع مقر عمله في درعا المحطة. يقول: "على الرغم من حملنا لتصريح من المديرية التي أعمل بها لتسهيل عملية المرور، إلا أني أتعرض للكثير من الاهانة بشكل شبه يومي من قبل عناصر حاجز السكة، الذين لا يعرفون كبيراً أو صغيراً في رحلة استمتاعهم في إذلال العابرين، سواء كان الشخص رجلاً أم امرأة أو حتى طفلاً، تبدأ رحلة العبور المميتة منذ أول خطوة نجتاز فيها آخر جدار من جدران مخيم درعا، حيث نخترق منازله بشكل متتال، غرفة تلو غرفة للمرور بعيداً عن رصاص قنّاصة النظام في الأبنية المرتفعة التي تحيط بمخيم درعا"، ويوضح قائلا: "خلال العبور عليك عدم التوقف أبداً، خاصة أثناء إطلاق الرصاص، كل ما عليك هو السير بسرعة، وكثيراً ما شهدت حالات إطلاق رصاص بقصد الموت البطيء ولأسباب تافهة، وعندما كنا نصل إلى الحاجز، كان يتم الاستهزاء بالجريح الذي يمنع نقله للعلاج من قبل العناصر الأمنية، وأحيانا تصل إلى درجة الرهان على الوقت الذي سيبقى فيه على قيد الحياة، مقابل علبة سجائر أو متة، أو مبلغ مالي معين".

لا تستثنى من هذه المعاناة المرأة، مهما كان عمرها، وحدثت حالات اعتقال لعدد من النساء، من قبل عناصر هذا الحاجز، وبشكل تعسفي ومذلّ.

أم محمد سيدة تتجاوز الخمسين من عمرها، تتنقل بين المنطقين لشراء بعض الحاجات الضرورية لنساء الحارة وأقاربها، وإجراء بعض المعاملات الرسمية الخاصة بالأسر، مقابل مبلغ مالي معين يتم الاتفاق عليه، حيث تجتاز المعبر بشكل يومي تقريبا، تقول: "شاهدت الكثير من حالات الاعتقال للنساء من قبل عناصر الحاجز، دون مراعاة أي شيء، حيث يتم التدقيق على البطاقات الشخصية ومقارنتها بالقائمة الموجودة لديهم، فمن كان لها اسم بين المطلوبين، أو لها علاقة بأحد المطلوبين يتم اعتقالها بدلاً عنه حتى يسلّم نفسه، دون مراعاة لمسألة السن، ومنهن صبايا تم اعتقالهن مقابل ذويهن.

أما الرجال فيتعرضون لأشد أنواع التنكيل أثناء المرور، يبدأ ذلك بإيقافهم وخضوعهم لتفتيش دقيق، خاصة على الهواتف النقالة، يذكر أنه تم اعتقال سيدة وابنها بسبب هاتفه والعثور بداخله على صور تدل على أن صاحبها متضامن مع الثورة، ومصيرهما مجهول حتى اللحظة، وكثيراً ما يتم الاعتداء على الرجال بالضرب المبرح واصطحابهم للأفرع الأمنية دون أسباب، أو إجبارهم على العمل في بناء المتاريس للحواجز الأمنية".

كما توضح أم محمد: "نتعرض لتفتيش دقيق، وخاصة للأمتعة التي نقوم بنقلها من وإلى الجانبين، هناك سلع لا يمكن إدخالها أبداً، وقد تكلّف حاملها الاعتقال، كمشتقات النفط والأدوية والتجهيزات الطبية والأطعمة واللوازم المدرسية التي يسمح بإدخالها بكميات معينة، كذلك المنظفات والزيوت، فكل شيء محدد لحاجة أسرة واحدة فقط ليس أكثر، وكثيراً ما يتم الاحتفاظ ببعض الأشياء، بحجة منعها أو زيادة حجمها، فقط للاستيلاء عليها من قبل العناصر الأمنية".

حلب: بالسرقة أو البالة، الحلبيون يواجهون شتاءً جديداً

■ حلب - عثمان إدلبي

استحدث السكان المدنيون في حلب طرقاً بدائية ليواجهوا بها فصل الشتاء القادم عليهم، للمرة الثالثة في ظروف صعبة تتركها الحرب على مدينتهم، فبعد أن بات تأمين المحروقات هو الهم الأكبر لأغلب سكان حلب، ولم يعد الدفء متاحاً للسكان بسبب غلاء سعر بيع لتر المازوت وندرته، فسعر اللتر الواحد من مادة المازوت مثلاً يصل إلى 140 ليرة، بات من الضروري أن يبحث المدني عن حلول تقيه من برد الشتاء وتبعاته.

محمد سلال وهو عامل في إحدى محطات الوقود يقول "يدخل النظام إلى حلب سبع صهاريج مازوت أسبوعياً لا تكاد تكفي نصف الحاجة الاستهلاكية للمدينة، ما ساهم في ظهور السوق السوداء التي تبيع المادة بأسعار مرتفعة بدورها" ويقول أبو توفيق "أصحاب المولدات لا يكترثون بغلاء المازوت فهم يشترون بسعر مرتفع ويرفعون مقابله سعر الأمبير وبالنتيجة أن فرق السعر يأخذ من جيب المواطن، أصحاب (الكازيات) يفضلون يبيع المازوت لأصحاب المولدات الذين يدفعون سعر جيدا".

شتاء في الخيمة

لا يزال بعض المدنيين يعيشون في خيام نصبوها على أرصفة الشوارع في مناطق متطرفة من المدينة، يجهز هؤلاء الفقراء أنفسهم لاستقبال الشتاء فيرممون خيمهم ويرقعون الثقوب التي كانت تدخل عليهم المطر ولسعات البرد في شتاء العام الفائت، وتقول "أم رامي" "لم أكن أتمنى أن يأتي فصل الشتاء بعد المعاناة الكبيرة التي عشناها العام الماضي، فقلعت خيمتنا أكثر من مرة وكانت جميع أغراضنا تبقى ملوثة بالطين ولم نشعر بالدفء يوما، ومنذ ستة أشهر أنجبت طفلة ولا أعلم هل سوف تتحمل ظروف الشتاء القاسية، وأنا الآن أتدبر أمور الطهي بإشعال بعض أغصان الأشجار اليابسة ولكن هذا لم يعد ممكن عند هطول أول أمطار الشتاء".

تجارة تحت المطر

أصبح مطر الشتاء وبرده القارص مشكلة لتجار حلب كون معظمهم أخذوا من الأرصفة والساحات مكان لعرض سلعهم وبيعها، ويروي التاجر "مروان مجوز" لسوريتنا "بعد أن احترق محلي في سوق المدينة أصبحت أبيع الألبسة على بسطة في أحد شوارع حي الجميلية ولكن فصل الشتاء أتى علي مثل الكابوس لأنني لم انسَ الظروف التي مررت بها العام الفائت، فكلما تساقطت الأمطار يجب أن أحمل بضائعي وأركض بها إلى مدخل أحد الأبنية المجاورة لكي أحميها من البلل، ولم أكن أجد أي طريقة لدرء مياه الأمطار عن البسطة سوى أكياس النايلون التي سوف تطير عندما يهب الهواء"، معاناة مروان هي ذاتها معاناة الكثيرين من الباعة فالقليل من تجار حلب يملكون محلات اليوم.

البالة وجهة الفقراء لرد برد الشتاء

مع بداية فصل الشتاء يقبل الكثيرون من أهالي حلب على أسواق البالة حيث وجدوا فيها ما يرد عنهم برد الشتاء وينقذهم من غلاء أسعار الألبسة الجاهزة وخاصة الشتوية

منها، ويقول ناصر بوادقجي وهو من أهالي حلب "لم اعتد من قبل على أن أشتري لأولادي ألبسة مستعملة، ولكن عندما ذهبت إلى السوق فوجئت بالأسعار التي تتراوح قيمتها بين الستة والسبعة آلاف ليرة فقررت الذهاب إلى أسواق البالة واشتريت سترة لي وثلاث سترات لأولادي بخمسة آلاف ليرة".

السرقة الحلال

لجئ البعض إلى سرقة الكهرباء والمازوت كما فعل ياسر الذي تمكن من سرقة خط تيار كهربائي من أحد الخطوط التابعة للمراكز الأمنية، ياسر كان يبدو عليه الفخر والتباهي بفعلته عندما كشف لنا عن سبب سرقته للخط "مضى شتاء العام الماضي ولم يكن لدينا مازوت ولم تكن تأتي الكهرباء إلا ساعات قليلة، وكلما انظر من النافذة أرى مدافئ الكهرباء تلمع في المبنى الحكومي الذي يواجه منزلي، وكنت دائما أسال نفسي هل الكهرباء خصصت لهم ونحن يجب ألا يفارقنا البرد، فقررت في هذا العام أن أسرق خطاً من علبة الكهرباء ولم اخف من العواقب".

بعد غلاء سعر المحروقات وقلتها في الأسواق أصبحت خزانات المازوت المنزلية والتي توضع غالباً على الأسطح معرضة للسرقة، مما جعل الناس تحصن خزاناتها بالأقفال والجنازير، وقام البعض بنقل خزاناتهم إلى داخل بيوتهم خوفاً عليها من السرقة، وتقول السيدة منال "في نهاية الشتاء الماضي كان المازوت متوفراً وسعره مقبولاً فقررت أن أملئ خزاني بالمازوت لكي أستخدمه هذا العام، ومنذ يومين قمت بتركيب المدفأة ولكنني لم أجد في خزاني ولا لتر من المازوت لكي أشعلها، وكان قفل الخزان مكسوراً، لقد سرق كل ما في الخزان من وقود".

جماعة الإخوان المسلمين السورية تختار مراقباً جديداً لها

انتخب مجلس شورى جماعة الإخوان المسلمين في سورية يوم الخميس الدكتور محمد وليد مراقباً عاماً جديداً للجماعة لمدة أربع سنوات، خلفاً للشيخ محمد رياض شقفة.

والدكتور وليد، من مواليد مدينة اللاذقية، عام 1944، وهو حاصل على الدكتوراه في الطب البشري من جامعة دمشق عام 1968، ومتخصص في طب العيون في بريطانيا، ويشغل الدكتور وليد منصب رئيس الحزب الوطني للعدالة والدستور "وعد"، المنبثق عن جماعة الإخوان المسلمين.

ويحظر نظام الأسد جماعة الآخوان المسلمين في سوريا والانتماء إليها، في حين تنشط الجماعة في صفوف المعارضة السورية، وقد انتُخب مؤخراً أحمد طعمة (المحسوب على الجماعة) رئيساً للحكومة السورية المؤقتة بعد حصوله على 63 صوتاً تدعم توليه المنصب.

الزواج المبكر في دير الزور
المعدلات في ارتفاع، وأرامل في سن السابعة عشر

■ دير الزور - عادل العايد

تزوجت "لميس" البالغة من العمر 16عاماً، من ريف دير الزور الغربي، بابن قريتها "يوسف" 21 عاماً، المقاتل في إحدى كتائب الجيش الحر، ليسقط بعد ثمانية أشهر صريعاً، في إحدى المعارك بين الجيش الحر وتنظيم الدولة الإسلامية، لتعود إثر ذلك إلى بيت أهلها، ولكن ليس كطفلة بل كأرملة لم تتجاوز السابعة عشرة.

"لميس" ليست الفتاة الوحيدة، التي لم تبلغ سن الرشد، ويتم تزويجها في ريف دير الزور، ففي السنتين الأخيرتين، انتعشت ظاهرة الزواج المبكر، بشكل ملحوظ، حيث لم تعد مقتصرة على المراهقات كما في السابق، بل انتشرت في صفوف المراهقين أيضاً، بسبب انسداد الأفق أمامهم، وزيادة فاعلية الموروثات الاجتماعية والعشائرية بعد غياب سلطة الدولة، وذلك بحسب استطلاع تم إجراؤه بين بعض أهالي دير الزور، الذين رجحوا ارتفاع معدلات الطلاق بالمقابل نتيجة افتقار الزواج لمقومات الاستمرار.

يؤكد "أحمد الخلف"، من ريف دير الزور الشرقي، ارتفاع معدلات الزواج بشكل عام، والزواج المبكر بشكل خاص، وذلك من خلال تجربة عائلته الخاصة فيقول "لي سبعة أخوة، خلال السنة الماضية، تزوج ثلاثة منهم، فيما كانت العائلة قبل ذلك، تفرح بعريس واحد كل ثلاث سنوات، أو أكثر، ويعود ذلك إلى الأعراف الاجتماعية بالدرجة الأولى، التي تسعى إلى تزويج الأبناء في أيام الاضطرابات خوفاً من فقدانهم وحفاظاً على استمرارية نسل العائلة".

ويعرف الزواج المبكر بأنه زواج من هم دون الثامنة عشر من العمر، على اعتبار أنه سن الرشد، حسب اتفاقية حقوق الطفل، التي تقول أن الطفل، هو من لم يبلغ الثامنة عشر، وظاهرة الزواج المبكر، كانت ولا تزال، منتشرة في المناطق الريفية في سورية، حيث قدرت المنظمة الدولية لحقوق الطفل (اليونيسف) من قبل، أن نسبة 13٪ يتزوجن دون سن الثامنة عشر، فيما لا توجد إحصائيات، عن معدلات الزواج حالياً، إلا أن ناشطين وخبراء يؤكدون أنها في ازدياد.

وكان لانتشار السلاح، والقتال المستمر، في دير الزور، طيلة السنوات الثلاث الماضية، أثر ضاعف من خوف الأهالي، على أبنائهم المراهقين، من الانجرار نحو العمل المسلح، فلجأوا إلى تزويجهم كنوع من الحماية.

"سعيد سليمان" 18 سنة من الريف دير الزور الغربي، متخلف عن الخدمة العسكرية، لذا غدا مضطراً، أن يبقى ضمن المناطق المحررة، ونظراً لخوف أهله من التحاقه بإحدى المجموعات المسلحة، عملوا على إقناعه بضرورة الزواج، فتزوج منذ ما يقارب الشهر، يقول سعيد "انضويت مع إحدى الكتائب قبل ستة أشهر، واستطاع أهلي إعادتي إلى البيت، خوفاً على حياتي، وبعدها عملوا على تزويجي، لكي ارتبط ببيت وأسرة، وألغي فكرة الهجرة، أو الدخول في إحدى التنظيمات في المنطقة".

فيما يعلق "أحمد الشاهر" من أبناء الريف الشرقي بقوله "أغلب الجنود المنشقين عن النظام، جرى تزويجهم، فور عودتهم إلى ذويهم، وكما هي العادة، تزوجوا بفتيات أصغر سناً منهم".

وشكل انعدام الأمن بعد انطلاق العمل المسلح دافعاً قوياً لدى الأسر للمحافظة على العلاقات بين العائلة الواحدة، خصوصاً بعد المصادمات العشائرية والعائلية التي ما تلبث أن تهدأ حتى تنفجر من جديد.

"هدى" 19 عاماً، تزوجت بابن عمها ولم يتجاوز عمرها الثامنة عشر عاماً، وتقول عن ذلك "تقدم للزواج بي ابن عمي، وقبلت لأني أفضل البقاء قريبة من أهلي، وفضل أهلنا زواجي به على زواجي من شخص غريب عن العائلة".

ونظراً لانخفاض قيمة العملة السورية أمام الدولار فقد أصبح للعمالة السورية في لبنان مورد دخل يمكنهم من تغطية تكاليف الزواج.

"محمد نور"18 سنة، عامل في لبنان، وهو من أبناء ريف دير الزور، تزوج منذ ما يقارب الثلاثة أشهر، من فتاة لم يتجاوز عمرها الستة عشر عاماً.

يقول محمد "بهبوط العملة السورية أمام الدولار أصبح بإمكان أي عامل في لبنان، أن يؤمن تكاليف الزواج، وخصوصاً أن المهر في المنطقة الذي يتراوح بين 200 ألف إلى400 ألف ليرة سورية، بقي على حاله، وهو ما يمكن تأمينه في لبنان، ما بين ستة أشهر وعام".

وكان لعوائد بيع النفط سابقاً في بعض مناطق دير الزور دور في إقبال الناس على الزواج، ولكن ذلك محصور بالمستفيدين منها فقط، ويعلق "ساري" على ذلك وهو من أبناء المنطقة بقوله "بيع النفط در أموالاً طائلة وأول مشروع يمكن التفكير به هو الزواج، حتى أن المتزوجين تزوجوا مرة ثانية".

"أبو عليوي الفراتي"، ناشط من ريف دير الزور، يؤكد أن هذه الظاهرة طارئة، على المجتمع في منطقته، رغم أنها كانت موجودة من قبل، ولكن بشكل ضئيل جداً، فيقول "قبل بداية العمل المسلح، قلما يتزوج شاب، دون سن السابعة والعشرين، حتى أن بعض الشباب تزوجوا بمن تكبرهم سناً، وكذلك كانوا يميلون إلى المتعلمات، والكثير من المتزوجات في حينها كن جامعيات، فقد انتشر الوعي والثقافة، لدى الشباب من الجنسين، فيما يخص موضوع الزواج وبناء الأسرة، وكل ذلك لا يمكن أن نراه حالياً، بسبب انعدام الأمن وبسبب الإحباط من إمكانية متابعة التحصيل العلمي".

ومع أن الزواج المبكر حل لحماية الشباب لكن له انعكاسات سلبية، وتتجسد أبرزها بازدياد حالات الطلاق نظراً لصغر سن المتزوجين، وعدم درايتهم بكيفية تدبير شؤون حياتهم.

"علياء. م" إحدى المطلقات، في ريف دير الزور، تقول "تزوجت بعد أن نلت شهادة الثانوية العامة، من أحد معارف العائلة، في قرية أخرى، وكان يكبرني بسنتين فقط، وبعد الزواج، بستة أشهر حدث خلاف بيننا، وطلقني مرتين، وفي كل مرة أعود فيها إليه، بضغوط من أهلي وأهله، نتشاجر بعد عدة أسابيع، لأعود مطلقة إلى أهلي، وفي المرة الثالثة أبلغته الهيئة الشرعية، في الريف الغربي لدير الزور، أنه لم يعد بإمكانه تسوية الوضع من جديد، لذلك سنفترق نهائياً، وسأكون أكثر راحة عند أهلي".

فيما يؤكد "محمد سليمان 29عاماً أن حالات الطلاق تزايدت، في قرية "حواج ذياب"، بريف دير الزور، بعد أن كانت تقريباً غير موجودة، في قرية صغيرة مثل هذه القرية، والسبب الأكيد لهذا التزايد، بحسبه، هو صغر سن المتزوجات، إذ لا يستطعن تحمل أعباء الزواج، إلا فيما ندر، بفضل مساعدة ذويهن.

ويصعب التعامل مع الأطفال من قبل أمهاتهم المراهقات، فتقول "أم فواز"، من قرية التبني" تزوجت ابنتي الكبرى في سن السابعة عشر، وهي حالياً تواجه مشاكل في التعامل مع ابنها البكر، فهو دائم المرض، ويعود ذلك لعدم قدرتها على الاهتمام به نظراً لصغر سنها".

تعتبر الناشطة في مجال حقوق المرأة، "مزنة دريد"، من دير الزور، أن الزواج في سن مبكرة، من أهم العوائق التي تؤثر على التطور الطبيعي للمراهقة المتزوجة، بالإضافة إلى تعرض حياة الزوجة والجنين للخطر عند الحمل، ويترتب عليه كذلك حرمان النساء، من المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وفي النهاية لن ينتج عن هذا الزواج أسرة سليمة.

أما عن كيفية مواجهة هذه الظاهرة، فتقول "نستطيع أن نكافح هذه الظاهرة، من خلال التوعية والإرشاد، ونشر التعليم ومكافحة الأمية المنتشرة حالياً، عند الذكور والإناث في ريف دير الزور، والريف السوري بشكل عام، إلا أن ذلك يتطلب جهود كبيرة تقوم بها الدولة وكل هذا غائب بسبب حالة الحرب المستمرة وخاصة في دير الزور".

"السعودية - الدولة" بذور التغيير تحت الشمس (2)

■ ياسر مرزوق

استكمالاً لملفنا السابق نتابع اليوم عرضاً لأطياف المعارضة التي مرت في تاريخ حكم آل سعود للملكة.

حركة الأمراء الأحرار

لم تقف رياح التحرر وأفكار القومية العربية وحتى الاشتراكية عند عامة المجتمع السعودي بل انتقلت إلى داخل صفوف العائلة المالكة، وكانت فترة الصراع على الحكم بين الملك سعود وولي عهده فيصل مسرحاً لبزوغ هذه التيارات، ويصعب الفرز تماماً بين توجهات أفراد العائلة الحاكمة في تلك الفترة كونها تخفي وراءها مطامع بالنفوذ والتفرد بالمكتسبات المادية.

ولعل التصنيف الأقرب للواقع هو انقسام الأسرة إلى ثلاث تيارات، الملك سعود الذي استند إلى مجموعة من الأمراء وبعض شيوخ القبائل للاستمرار في الحكم، والأمير فيصل الذي حظي بمساندة مجموعة أخرى من الأمراء والكثير من علماء الدين وتجار الحجاز المتنفذين، أما الفئة الثالثة فتزعمها الأمير طلال المتمتع بتأييد فئة المثقفين الناشئة من خريجي الجامعات الأجنبية وعدد من الموظفين، وهي التي انبثق عنها لاحقاً ما سمي بحركة الأمراء الأحرار.

ففي عام 1958 نجح جناح الملك فيصل بالاستئثار بالحكم، عندما قامت مجموعة من الأمراء مدعومة من الأمريكان وعلى رأسها الأمير فهد بن عبد العزيز بتقديم إنذار للملك سعود يطالبه بتسليم السلطة إلى فيصل، وتحت الضغط الأمريكي رضخ الملك سعود وأصدر في 23 آذار من العام نفسه مرسوماً ملكياً يمنح رئيس الوزراء «فيصل » المسؤولية التامة للإشراف على تنفيذ جميع السلطات الإدارية فيما يتعلق بالشؤون الداخلية والخارجية والشؤون المالية، كما أصبح فيصل القائد العام للقوات المسلحة السعودية.

في العام نفسه أيضاً قام بعض من أبناء عبد العزيز، وهم الأمير طلال بن عبد العزيز آل سعود - رئيساً للحركة - والأمير مشاري بن عبد العزيز آل سعود والأمير بدر بن عبد العزيز آل سعود والأمير تركي الثاني بن عبد العزيز آل سعود والأمير فواز بن عبد العزيز آل سعود، بتأسيس ما سمي بحركة الأمراء الأحرار والتي نادت بالعديد من المبادئ مثل إنشاء حكم دستوري وبرلماني في البلاد وفصل الأسرة الحاكمة عن الحكم، والمساواة بين الرجال والنساء وإلغاء الرق.

وقد عقدت هذه المجموعة اتفاقاً باطنياً مع الملك سعود وعدهم فيه بإقامة مملكة دستورية، ولا يمكن الحكم على سلوك الملك سعود إن كان مناصراً للإصلاح، أو أنه استخدم هذه الحركة في صراعه مع فيصل، خاصةً أن الحركة لم تعلن قطيعتها مع الأخير واستمرت بالتواصل مع الطرفين، وفي حزيران عام 1960 اقترح الأمير طلال إقامة نظام ملكي دستوري، فرفض فيصل الاقتراح وأبعد عنه طلال وجماعته. وفي شهر أيلول عرضه على الملك سعود فرفضه أيضاً على اعتباره متطرفاً عن قيم المجتمع السعودي.

وفي الخامس والعشرين من كانون الأول عام 1960 أعلنت إذاعة مكة أن مجلس الوزراء وافق على تشكيل مجلس وطني منتخب جزئياً، وقرر وضع مسودة الدستور؛ الذي كان الأمير طلال كلف مجموعة من الحقوقيين المصريين بوضعه، وجاء في 120 مادة، ولكن الإذاعة عادت بعد ثلاثة أيام لتنفي الخبر، وبات واضحاً أن الملك سعود لن يقبل بإصلاحات على هذا المستوى.

في 12 كانون الأول عام 1962 ومع تصاعد الخلاف بين فيصل وسعود على الصلاحيات، استقال فيصل، وشكل الملك سعود وزارة ضمت الأمير طلال بن عبد العزيز وزيراً للمالية والأمير محمد بن سعود وزيراً للدفاع، والأمير عبدالمحسن بن عبد العزيز وزيراً للداخلية، بينما عين بدر بن عبد العزيز وزيراً للمواصلات؛ وأسندت وزارة النفط والمعادن إلى الوجه القومي المعروف الشيخ عبد اللّه الطريقي. ولأول مرة في تاريخ البلد استلم أشخاص لا ينتسبون إلى العائلة المالكة غالبية الحقائب في الوزارة «6 من 11».

وتجدر الإشارة إلى أنه وفي ظل الحكومة الإصلاحية صدر قانون خاص يقضي بالإعدام على الجرائم المرتكبة ضد الأسرة المالكة، أو محاولة تغيير النظام الملكي، وأجهضت محاولات الإصلاح على يد تيار الأمير فيصل ورجال الدين الخائفين على صلاحياتهم وعى رأسهم مفتي الديار السعودية محمد بن إبراهيم آل الشيخ ورئيس جماعة الأمر بالمعروف الشيخ عمر بن حسن فكان لهم الدور الأكبر في إقالة الأميرين طلال وعبد المحسن من الوزارة.

ومع تدهور صحة الملك سعود وسفره للخارج عاود فيصل الإمساك بمقاليد الحكم، مما أضطر طلال وشركائه للهجرة إلى بيروت عام 1962حيث عقدوا مؤتمراً صحفياً في بيروت، انتقد فيه الأمير طلال النظام السعودي وأوضح أن هدف مجموعته يتمثل في إقامة نظام دستوري ديمقراطي في الإطار الملكي، وخشية الوقوع في أزمة ديبلوماسية مع السعودية حاولت حكومة لبنان التخلص من الأمراء الأحرار فغادروا إلى مصر، حيث استقبلهم الرئيس جمال عبد الناصر. وأدت حرب اليمن إلى تمديد نشاطهم فترة من الزمن.

إلا أنه وبعد فشلهم في الترويج لإصلاحاتهم صعد الأمراء الأحرار من مطالبهم في المنفى، ودعوا إلى إلغاء ما أسموه «نظام الاستبداد الملكي» وإقامة نظام برلماني، ووضع سياسة اقتصادية وطنية، وإعادة النظر في كل الاتفاقيات النفطية، ودعوا إلى الحياد الإيجابي، ورفض تأجير قاعدة الظهران. هذه المطالب الراديكالية لم تشجع المجتمع السعودي المحافظ على الميل إليها، ولغياب البنية الاجتماعية أو الاقليمية الداعمة، تنازل الأمراء الأحرار عن مطالبهم تدريجياً، كما تنازلوا طواعية عن لقب أمير قبل عودتهم من المنفى في منتصف الستينيات، وتم العفو عنهم وتولى منهم الأمير فواز إمارة مكة المكرمة من سنة 1970م حتى 1980م.

الحزب الشيوعي السعودي

في الخمسينات والستينات من القرن الماضي كانت أفكار اليسار بل الشيوعية تنتشر بقوة في عموم الخليج العربي وفي عمان والبحرين خاصةً، أما في السعودية فمن الممكن اعتبار الحراك العمالي في الخمسينات ونشاط جبهة الاصلاح الوطني مقدمةً لما عرف فيما بعد بالحزب الشيوعي السعودي، ولا بد من الإشارة إلى أن الاتحاد السوفيتي كان الدولة الأولى التي اعترفت بالملك عبد العزيز ملكاً على نجد والحجاز عام 1925، إلا أن العلاقة بين الدولتين لم تستمر، فبمجرد الإعلان عن تأسيس المملكة العربية السعودية عام 1932قطعت الأخيرة علاقتها مع الاتحاد السوفياتي واصفة اياه بـ«الدولة الشيوعية» الملحدة والمحاربة للإسلام.

مع بداية الستينات وبروز تنظيم الأمراء الأحرار وتصاعد الخلاف بين أجنحة العائلة المالكة، انتقلت جبهة الإصلاح الوطني إلى مرحلة جديدة من النضال، وسميت جبهة التحرير الوطني، وقد حدد أمينها العام محمد عبد اللّه عن توجه المنظمة في كتابه «قضية الشعب قضية الحزب» قائلاً: «كوننا فصيل من الحركة الشيوعية العالمية التي يتقدمها الحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي، تحتم علينا أن ندرك مسؤوليتنا التاريخية والأممية ليس تجاه الطبقة العاملة في بلادنا وإنما تجاه الطبقة العاملة العالمية بأسرها، وتجاه مناضلي الطليعة لهذا الكون».

وبعد سنوات من العمل السري توحدت الجبهة مع تنظيم الأمراء الأحرار في جبهة واحدة حملت اسم «جبهة التحرر الوطني العربية»، لكنها لم تستمر وقتاً طويلاً بعد انسحاب الأمراء الأحرار حيث عادت لاسمها القديم «جبهة التحرير الوطني». في حين غادر الجبهة الأعضاء القوميون وبعض الماركسيين ليشكلوا تنظيمات أخرى مستقلة.

واقتصر نشاط الجبهة في هذه الفترة على البيانات وتوزيع المنشورات، خاصةً وأن الحكومة السعودية مارست كل أشكال القمع بحقهم، وبرزت في تلك المرحلة بعض الشخصيات مثل عبد العزيز أبو سنيد وعبد العزيز بن معمر واسحاق الشيخ يعقوب ومحمد السعيد.

عام 1975 وعندما تسلم الملك خالد الحكم إثر اغتيال الملك فيصل صدر عفو شامل عن المعتقلين السياسيين في السجون، وعن المنفيين. وفي العام نفسه تأسس الحزب الشيوعي السعودي وأعلن بيانه ونظامه الداخلي، وعلى الرغم من أن الحزب كان مطارداً من السلطات السعودية، إلا أنه أصدر العديد من البيانات وأقام مجموعة من المؤتمرات والاجتماعات الدورية بالإضافة إلى إصداره لنشرة «طريق الكادحين»، التي تعتبر الجريدة المركزية للحزب كما أصدر الحزب خطاباً مشتركاً مع حزب توده الشيوعي الإيراني عام 1985 بعد اتفاق بين الحزبين. ندد هذا الخطاب بالحركة القمعية الشديدة التي شنتها حكومة الجمهورية الاسلامية على حزب توده.

وفي عام 1990 توقفت دورية الحزب « حياة الحزب «عن الصدور، وتضاءل نشاطه كنتيجة حتمية لتدهور أوضاع المنطقة والاتحاد السوفياتي وتصاعد التيار الإسلامي ومن ثم حرب الخليج وتحول الخطاب الدارج إلى خطاب حقوقي مقابل خفوت بريق خطاب اليسار عالمياً.

وفي التسعينات وتماشياً مع انحسار الشيوعية عالمياً اعتمد الحزب تسمية « التجمع الوطني الديموقراطي»، وابتعد في خطابه عن أفكار اليسار والاشتراكية، واعتمد نهجاً جديداً ينادي بالديمقراطية وحقوق الإنسان واعتماد الوسطية مع المؤسسة الدينية، وفي النصف الثاني من عام 1994 جرت مفاوضات جمعت قياديي الحزب بصورته الجديدة مع الملك فهد والأمير عبد اللّه والأمير نايف نتج عن هذه المفاوضات الإفراج عن جميع المعتقلين والسماح بعودة المنفيين، حيث أن أغلبية أعضاء الحزب كانوا خارج البلاد، كل ذلك في مقابل حل الحزب، ومنذ ذلك التاريخ توقف نشاطه وتوقف التجمع الوطني الديموقراطي الواجهة الجديدة للحزب، وأوقف إصدار بياناته ومنشوراته في الخارج والداخل معلناً عن نهايته كتنظيم سياسي وبقائه كمجموعة أفراد.

المعارضة بعد حرب الخليج

كان لحرب الخليج الثانية الأثر الأكبر على المملكة حيث برزت مقولات حقوق الإنسان وإصلاح وتطوير أنظمة الحكم في الخليج وعدم تعامل الولايات المتحدة الأمريكية بمعايير مزدوجة، فالديمقراطية والتعددية لا تخص النظام العراقي فقط، بل كافة الأنظمة الخليجية معنية بها.

ففي السادس من تشرين الأول عام 1990، وبينما القوات الأمريكية تستعد لشن حربها على العراق، والجنديات الأمريكيات يقدن السيارات على أراضي المملكة، تشجعت بعض السعوديات وقمن بمسيرة بالسيارات في مدينة الرياض ووجهت هذه المسيرة بمقاومة كبيرة من التيار السلفي.

هذه المسيرة وعلى الرغم من تواضعها أعطت مؤشراً كبيراً على رياح التغيير التي تهب على المملكة، وفي ذات العام قدم عدد من المثقفين والأكاديميين والكتاب بعض العرائض للمطالبة بحزمة من الاصلاحات في شتى المجالات الدينية والاعلامية والاجتماعية والاقتصادية، كضرورة المشاركة السياسية ومراجعة مناهج التعليم الديني وإصلاح النظام القضائي وتعزيز الحريات العامة وتقليص سلطات الاسرة المالكة وغيرها من المطالب الاصلاحية.

وكعادة القيادة السعودية عند الأزمة الداخلية أو الخارجية فإنها تخرج ملف الوعود بالإصلاح حتى تهدأ العاصفة ثم تعود الأمور كما كانت، وبالإضافة إلى الوعود فقد سمح الملك فهد بعودة بعض المعارضين من الخارج وإعادة الاعتبار لهم وتعويضهم.

من بين أهم التوجهات التي برزت بشكل علني في تلك المرحلة، جماعات تصنف ضمن الإسلام السياسي، تعدى خطابها حدود الموقف من الحرب إلى مطلب دولة الخلافة أو الدولة الدينية، كما دعت لممارسة العمل السياسي تحت عناوين مختلفة ولعل أبرزها:

لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية

عام 1993 وعلى إثر اعتقال الأمن السعودي للشيخين محمد الدبيان ومحمد عبود العسيري على خلفية مواقف أطلقوها اتجاه العائلة المالكة، اجتمع عدد من المثقفين بقيادة سعد الفقيه ومحسن العواجي ومحمد الحضيف والتحق بهم فيما بعد عبد العزيز القاسم وعبد العزيز الوهيبي ومحمد المسعري واتفقوا على تأسيس لجنة للدفاع عن حقوق الإنسان، لكنهم أرادوا أن يكون أعضاؤها المؤسسون من وجوه المجتمع السعودي، فوقع الاختيار على ستة من المشايخ والمهنيين المشهورين وهم محمد الصليفيح من كبار رجال التعليم ومعروف بنشاطه السياسي والاجتماعي وعبد الله بن سليمان المسعري قاضي متقاعد ورئيس ديوان المظالم «أمين اللجنة»، عبد الله بن عبد الرحمان الجبرين من كبار العلماء في المملكة وعضو رسمي للإفتاء، عبد الله الحامد حامل الدكتوراه وعضو هيئة تدريس في جامعة الإمام، سليمان بن إبراهيم الرشودي أول من زاول مهنة المحاماة في المملكة، عبد الله بن حمود التويجري أستاذ في جامعة الإمام ورئيس قسم أكاديمي فيها.

وقد وضح بيان اللجنة غايتها في رفع الظلم والدفاع عن حقوق الإنسان التي تقررها الشريعة، وطلبت من الناس التعاون معها بالإبلاغ عن المظالم، وتولى محمد المسعري منصب الناطق الرسمي باسم اللجنة، وصرح بأنها غير مرتبطة بجماعات حقوق الإنسان في الغرب مثل منظمة العفو الدولية لأنها قائمة على العقيدة الإسلامية، لكنه أضاف إن هذا لا يمنع قيام تعاون مع هذه الجماعات في المستقبل.

اجتمع أمير الرياض فوراً بالأعضاء المؤسسين للجنة وأبلغهم تنديد العائلة الحاكمة والحكومة السعودية بمثل هذا الإجراء وطالبهم بالتراجع عنه لأنه مخالف للشرعية السياسية والشرعية الدينية في نفس الوقت، فرد أعضاء اللجنة بأنهم - وهم من الحقوقيين والعلماء - على يقين بأن هذا الأمر لا يخالف الإسلام، بل إن الإسلام يحضُّ عليه ويكلف المؤمنين بالدفاع عن المظلومين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فهددهم الأمير بأنه سيطلب من المؤسسة الدينية إصدار بيان يندد بهم ويبين حكم الشرع في مثل هذا الأمر.

وفعلاً حُظرت اللجنة فور تأسيسها، وأصدر المفتي العام للملكة عبد العزيز بن باز بياناً حرَّم فيه قراءة منشورات اللجنة، واعتقل الأمن السعودي المتحدث الرسمي باسم اللجنة محمد المسعري واثني عشر أكاديمياً من الداعمين لها وبعد خروج المسعري وسعد الفقيه من السجن قررت لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية عام 1994 فتح مكتب لها في لندن؛ واختارت أن يمثلها كل من سعد الفقيه الذي خرج مع أسرته إلى لندن، ومحمد المسعري الذي تسلل إلى اليمن، وانتقل إلى لندن وبدأ نشاط اللجنة مجددا في أبريل 1994 بإرسال منشوراتها إلى داخل المملكة بالفاكس.

الحركة الإسلامية للإصلاح

في العام 1996 نشب خلاف حاد بين المسعري والفقيه حول استراتيجية عمل لجنة الدفاع عن الحقوق الشرعية في لندن، نتيجةً للتضارب في الرؤى فالفقيه كان يركز في نشاطه على مواجهة النظام السعودي، بينما رأى المسعري أن للجنة نشاطاً عالمياً، لا ينحصر بالمملكة، وانتهى الأمر بإقالة الفقيه، الذي أسس عام 1996 الحركة الإسلامية للإصلاح في لندن، وهي حركة سياسية إسلامية تهدف، بحسب بيانها المعلن، إلى إسقاط الحكم السعودي وإنشاء نظام إسلامي يعتمد على الشورى.

وقد نجحت الحركة الاسلامية في استقطاب التأييد من الداخل السعودي في نجد خاصةً، وبحسب بيانها تعتبر الحركة نفسها ذراعاً إعلامياً ومكتباً للخدمات والمعلومات للحركة في الداخل ولا تعتبر نفسها قيادة أو بديلاً عن السعوديين في الداخل.

وفي أيلول عام 2002 أطلقت الحركة إذاعة اسمتها «صوت الإصلاح». وكانت أولى المظاهرات التي دعت إليها مظاهرة 14 تشرين الأول عام 2003، والتي شارك فيها المئات أمام برج المملكة في الرياض بالتزامن مع عقد مؤتمر «حقوق الإنسان في السلم والحرب».

وعلى إثر المظاهرة قامت الحكومة السعودية بالتشويش على بث إذاعة الحركة. واعتقلت على أكثر من 350 شخصاً، صدرت بحقهم أحكام متفاوتة شملت جَلد البعض، وبحسب منظمة العفو الدولية، كان من المعتقلين ثلاث نساء على الأقل أفرج عنهن بعد 55 يوما من الاعتقال بعد التعهد بعدم مزاولة الأنشطة التي اعتقلن بسببها.

وفي 16 كانون الأول عام 2004دعت الحركة إلى مظاهراتٍ في عدة مدن سعودية وتوقع الفقيه مشاركة عشرات الآلاف رغم حظر التظاهر، وفي اليوم المخطط للتظاهر انتشرت قوات الشرطة المسلحة وأقيمت نقاط تفتيش عديدة في الرياض واعتُقل ثمانية أشخاص بشبهة التظاهر، بينما تظاهر حوالى 100 شخص في مدينة جدة، واعتقلت قوات الأمن 21 منهم وفيهم امرأة، وصدرت أحكام على 15 منهم تتراوح بين 100 و250 جلدة وشهرين إلى ست أشهر سجن.

حزب التجديد الإسلامي

في الأول من آذار عام 2004 أعلن الدكتور محمد المسعري تأسيس حزب التجديد الإسلامي، الذي يهدف إلى إسقاط الحكم الملكي السعودي وإقامة دولة خلافة إسلامية، وجاء في بيانه التأسيسي أن هدفه: العمل لتحويل كل بلد من بلاد المسلمين إلى دار إسلام، وتطهيرها من رجس الكفر وبذل الجهود الجادة المستديمة لضمها في كيان واحد، كيان دولة الخلافة الإسلامية الراشدة على منهاج النبوة.

وقد أطلق حزب التجديد إذاعة باسم إذاعة التجديد، واقتصر على النشاط الإعلامي، وحضر لأيام من التظاهر في السعودية باءت جميعها بالفشل.

حركة حسم

بعد سيول جدة عام 2009 والتي ألحقت أضراراً مادية وخسائر بالأرواح في المملكة نتيجةً لضعف البنية التحتية في المدينة وشبكات الصرف، تصاعدت الأصوات المنددة بالفساد المالي والسياسي، وأعلن عن تأسيس جمعية الحقوق المدنية والسياسية في السعودية، والتي تعتبر أحدث التيارات المعارضة في المملكة وتختلف عن سابقاتها بالتزامها الإعلان العالمي لحقوق الإنسان، لا الشريعة الاسلامية أو نظام الشورى الاسلامي، أسسها أحد عشر ناشطاً حقوقياً وأكاديمياً عام 2009، على إثر السيول في جدة، حيث دعت في خطاب مفتوح إلى الملك عبد الله بن عبد العزيز لتشكيل برلمان منتخب بصلاحيات لمساءلة المسؤولين.

وفي تشرين الأول عام 2010 تقدمت الجمعية بطلب لوزارة الداخلية للترخيص لاعتصام في الرياض إلا أن مقدمي الطلب استدعوا قبل الموعد المحدد بيوم وأبلغوا برفضه، وفي عام 2011 طالبت الجمعية الملك عبد الله بمحاكمة وزير الداخلية الأمير نايف بن عبد العزيز واتهمت سياسات الداخلية بأنها تشجع التطرف والعنف، كما انتقدت الجمعية مسودة قانون مكافحة الإرهاب التي سربتها منظمة العفو الدولية في العام نفسه كونه يعطي صلاحيات غير مسبوقة للأمن لقمع الشعب دون أي ضوابط قانونية.

وبعد سلسلة من الملاحقات والاعتقالات التي استهدفت أعضاء الجمعية، أصدرت المحكمة الجزائية بالرياض حكماً يقضي بحل الجمعية ومصادرة أملاكها فوراً.

«شحرورة العراق» عفيفة اسكندر 1927 - 2012

■ ياسر مرزوق

هناك روايتان عن أصول عفيفة اسكندر، تقول الأولى إن اسمها الحقيقي «تيريزا اسكندر» من مواليد عام 1927 بحسب ورقة معموديتها، حملها والدها الشماس اسكندر السوري الأصل إلى الموصل لمناسبة عيد القيامة، فاختطفت هناك، وبيعت إلى عائلة ديمتري اليونانية، وتبنتها مريم العراقية زوجة ديمتري اليوناني، أما الرواية الثانية فتقول أنها ولدت في الموصل عام 1927، من أب عراقي وأم يونانية. ونشأت وسط عائلة فنية، وأنها حملت اسمها من زوجها اصطفان اسكندر.

و يخبرنا الصحافي «عبدالجبار العتابي» في مقاله المنشور في يومية «إيلاف» الالكترونية بتاريخ 16 تشرين الثاني 2012 عن أم عيسى قائلاً: «هي بمثابة الذاكرة للمطربة لاسيما في سنواتها الأخيرة والتي أخذ المرض منها مأخذاً، كنا معها، واستذكرنا بعض السطور الغائبة من سيرة حياة انسانة وفنانة كانت آخر ورقة خضراء في شجرة عائلة لم يعرف أحد أين موقعها، فكانت وحيدة إلا من اسمها، لكن اللافت للانتباه - خلافاً لكل المعلومات السابقة عنها، حيث قيل إنها ولدت في الموصل ومن أبوين عراقيين - أن شهادة الجنسية العراقية أظهرت أنها سورية الأصل ومن أبوين سوريين لكنها حصلت على الجنسية العراقية بسبب زواجها من عراقي، وإن امتلكت عفيفة عراقيتها من العيش في العراق وحبها له وحنينها إليه.

وأكدت في موقع آخر من الحديث: عفيفة ليست أرمنية كما يقال بل هي مسيحية كاثوليكية، ولدت في سوريا لأبوين سوريين في 12 / 10 / 1921، وتوفيت في 22 / 10 / 2012، اسم أمها ماري ديمتري كمبوراكي، لكنها حصلت على الجنسية العراقية بالزواج.

ونميل إلى ترجيح رواية أم عيسى ليس لامتلاكها أوراقاً ثبوتية فقط، وإنما اعتماداً على مقال منشور عنها في مجلة الدنيا لصاحبها «عبد الغني العطري» في تموز عام 1957، حيث استضافت المجلة المذكورة «فنانة العراق الأولى»، وخصصت لها ثلاث صفحات. وافقت فيها الفنانة الكبيرة على الاجابة عن أسئلة القراء، فانهالت الأسئلة من كل أنحاء سوريا. وسألها قارئ عن بداياتها، فقالت إنها من عائلة فنية، وإنها بدأت مشوارها الفني في الثانية عشرة من عمرها، وغنّت في هذا العمر «زنوبتنا بالوادي جا وخطفها البغدادي»، وإذا ما علمنا بأن اسكندر بدأت مشوارها الفني في بداية الثلاثينات، فهذا يعني ترجيح رواية أم عيسى عن مواليد اسكندر عام 1921.

عاشت عفيفة في بغداد، وتلقت علومها الأولية في مدرسة الطاهرة، كما حفظت القرآن ومبادئ اللغة العربية عند الملا في الحي وهي تسمية تقابل الكتاب في بلاد الشام، وهناك أحبت اللغة العربية وأتقنت لفظها ببراعة.

دخلت معترك الفن عام 1930 وقد أتمت الثماني سنوات من العمر، وكانت أول حفلة أحيتها في ملهى صغير في مدينة أربيل أدت فيه أول أغنية لها وهي «زنوبة»، ولقبها المستمعون ب «جابركلي» وهي تسمية لمسدس سريع الطلقات وأتت هذه التسمية من صفة الغناء الذي أدته حيث كان غناءً سريعاً نتيجة لصغر سنها وعدم نضوج صوتها آنذاك.

وفي عمر الثانية عشرة تزوجت بضغطٍ من والدتها من الفنان القدير والعازف اصطفان اسكندر الذي كان يكبرها بأربعين عاماً تقريباً، فكان الأب الروحي لها فنياً، وفي عام 1935 كانت بدايتها الفعلية حين بدأت بالغناء في أرقى ملاهي العاصمة بغداد حينها مثل ملهى «الجواهري» و «الهلال» و«ملهى الأمير عبد الله»، وتجدر الإشارة إلى أن الملاهي في بغداد كانت نوادٍ اجتماعية تضم النخب السياسية والاقتصادية في المدينة.

عام 1938 سافرت إلى القاهرة للعمل في فرقة «بديعة مصابني» ثم شاركت في فيلم «يوم سعيد» مع محمد عبد الوهاب وفاتن حمامة وغنت فيه، إلا أن مشاهدها حذفت بسبب طول مدة العرض التي تجاوزت الساعتين، كما مثلت في أفلام أخرى في لبنان وسوريا ومصر منها «القاهرة ـ بغداد» إخراج أحمد بدرخان وإنتاج شركة إسماعيل شريف بالتعاون مع شركة اتحاد الفنانين المصريين ومثل فيه حقي الشبلي وإبراهيم جلال وفخري الزبيدي ومديحة يسري وبشارة واكيم، وقد قالت عفيفة عنه: «نجح هذا الفيلم مادياً فقط، أما أدبياً أو فنياً فلا أظن». وكذلك فيلم «ليلى في العراق» إنتاج استوديو بغداد وإخراج أحمد كامل مرسي ومثل فيه الفنانون جعفر السعدي ومحمد سلمان والفنانة نورهان وعبد الله العزاوي وعرض الفيلم في سينما روكسي في القاهرة.

خلال إقامتها في مصر تعرفت إلى الأديب المازني والشاعر إبراهيم ناجي صاحب رائعة الأطلال التي غنتها فيما بعد السيدة أم كلثوم، والذي كتب قصيدة يصف فيها فن اسكندر نُشرت في تشرين الأول 1946، وهنا بدأت رحلتها مع عالم الأدب، وفي لقاءٍ مع جريدة «الجمهور» اللبنانية نشر في 22 آب عام 1963 بعنوان «كروان العراق تتمنى ان تكون صحافية» قالت: «أفضل مجموعة من الكتاب أبرزهم ستيفان زمايغ وتشارلز ديكنز وجان جينيه ومن الكتاب العرب العقاد والمازني ومن الشعراء العباس بن الأحنف، كما أعربت عن رغبتها في منافسة عبد الغني العطري في ميدان الصحافة».

بلغت عفيفة قمة مجدها الفني والأدبي في العهد الملكي، وأقامت في بيتها صالوناً أدبياً يديره المحامي عباس بغدادي صاحب كتاب «بغداد في العشرينات» ضم في ذلك الوقت أبرز رجالات السياسة والأدب والفن والثقافة في البلاد، ولعل أبرزهم نوري السعيد الوصي على العرش ورئيس الوزراء العراقي وفائق السامرائي عضو حزب الاستقلال وعضو مجلس الأمة، والنائب حطاب الخضيري، وأكرم أحمد وحسين مردان وجعفر الخليلي وإبراهيم علي والمحامي عباس البغدادي والعلامة الدكتور مصطفى جواد الذي كان مولعاً بفنها ومستشارها اللغوي وتقرأ له الشعر قبل أن تغنيه. فضلاً عن الفنانين حقي الشبلي وعبدالله العزاوي ومحمود شوكة وصادق الازدي والمصور آمري سليم والمصور الراحل حازم باك.

عفيفة اسكندر إلى جانب وجاهتها ودورها المعروف، كان هناك جانب خفي من حياتها الخاصة قد لا يعرفه الكثير، إذ أنها كانت وراء الكثير من حملة الشهادات والكفاءات فقد تابعت دراستهم بالتعضيد المادي المباشر، بل إن كثيراً من العوائل كانت تلجأ إليها وهي تستجيب لهذا الجانب الانساني، ولم يعرف عنها أنها تخلت عن أحد المحتاجين ممن طلب مساعدتها وكانت تطلب منهم عدم ذكر اسمها وراء ذلك، لأن هذا عمل لله وحده.

مع انحسار الأضواء والشهرة لازمت عفيفة منزلها في بغداد، ولم تغادره على الرغم من كل ماحل بالعراق وأهله وبقيت صامتة ولم تظهر للعلن إلا عند تكريم الرواد لمناسبة مرور 68 سنة على تأسيس الاذاعة العراقية، فعرف الناس أنها لم تزل على قيد الحياة، ولم تزل مغروسة في بغداد. ظهرت لتقول: ها أنا ذا أعلن عن وجودي بعد صمت قاس تحوّل خلاله فن الغناء العراقي إلى سيرك فيه كل الألوان المبهرجة والبلادة والمجانية والسماجة وخليط من البلايا المضحكة. توفيت عفيفة اسكندر فقيرة في بغداد عام 2012 ودفنت في بعقوبة في مدافن عائلة أم عيسى السيدة التي كانت ترعاها.

نبلاء انتهازيون أنانيون هاربون وصامدون
فنانو سوريا التشكيليون "10"

■ حمزة السيد

المدلّ، المغضوب عليه

كان المرتحلون قد وصلوا الى مصياف في صيف 2004 أو 2005، مجموعة من الفنانين حديثي التخرج يرافقهم بعض من فناني الجيل الأكبر، الرحلة الترفيهية كانت تقطع مناطق من الساحل السوري وتمر بجبال اللاذقية، وبين المرتحلين كان النحات الشاب محمد عمران والذي كان أيضاً من حديثي التخرج من كلية الفنون الجميلة بدمشق، وصلت الحافلة إلى جبال مصياف، وفيها توقفت لبرهة في منزل عائلة عمران، أو قصر العائلة بمعنى أدق، هنا اطلع بعض الجاهلين بمكانة عائلة عمران على واحدة من أسباب نجاح الفنان الشاب وشهرته السريعة، العائلة الميسورة التي دعمت عمران ووقفت إلى جانبه في كل معرض أقامه في العاصمة السورية، ظهر قصرها الجبلي ليقول: نافسوه إن استطعتم.

في بداية الألفية كان المتخرج من كلية الفنون الجميلة، ومهما بلغت موهبته قدراً من الندرة، يدخل في دائرة متكررة وقاتلة، الدائرة تبدأ مع من هم ليسوا من سكان دمشق أصلاً، في التحدي الخاص بالبقاء فيها بعد أن انتهت أيام دراستهم، وما يتطلب ذلك من مال لتسديد آجار منزل في ضواحيها، ثم تأمين مرسم خاص، والمواد الخام التي يحتاجها النحات، مرورا بتكاليف المعيشة، قبل أن يصل الواحد منهم إلى لحظة إقامة معرض خاص، الدائرة المستحيلة كان تلتهم جزأ كبيراً من حديثي التخرج، والذين من المفترض أنهم جيل التشكيليين السوريين القادم، أغلب المتساقطين يتوجهون إلى أعمال الديكور أو التصميم الغرافيكي، أو حتى إلى مهن بعيدة كل البعد عن اختصاصهم وما هو من المفترض أن يكون شغفهم ومشروع حياتهم.

الأسماء القليلة التي نجحت في أن تقيم معرضاً في دمشق، أحبطها فشل التجربة فلم تكررها إلا فيما ندر، فلم تبع إلا لوحة واحدة في أحسن الأحوال، ولم يزر الصالة إلا بعض المعارف والأصدقاء، ولم تكتب الصحف عن التجربة، وكل ما سبق ينطبق على المصورين فقط، فحال النحاتين أكثر سوءاً بمرات، إذ يحتاج النحات إلى مال ومكان وزمن أكبر كي ينجز معرضه الخاص، وغالباً ما يلجئ بعض المصرّين على المضي قدماً في مشروعهم الفني إلى العمل في مهنة القلوبة، أو الديكور، أو يتحولون إلى حجارين كي يستمروا.

كان الاستثناء النحتي الوحيد، هو محمد عمران، الشاب الذي حصل عمله الذي أنجزه لمشروع التخرج من كلية الفنون الجميلة "الكرسي عام 2000" على سمعة جيدة قبل أن يعرضه في المركز الثقافي الفرنسي بدمشق، ثم أقام سريعاً في عام 2003 معرضين فرديين في دمشق، قبل أن يقيم في العام التالي معرضين في عمان وباريس، ثم معرضاً في صالة مصطفى علي عام 2005.

لا شك أن عمران يمتلك يداً بارعة في النحت، كتلته متوازنة ناطقة، ورجاله المسوخ الساخرون نجحوا في صناعة اسمه، وأثروا في عدد كبير من خريجي كلية الفنون بدمشق، لكن هؤلاء استعصى عليهم أن يصلوا إلى بعض مما وصل إليه عمران من انتشار ونجاح، لا لأنهم مقلدون فقط، بل لأن عمران والذي لا نتهمه هنا، بل نذكر ظروفاً جعلته متفوقاً على أبناء جيله، يمتلك ما لا يمتلكه الفنان الشاب، ولا شك انه سيصل إلى حيث لا يصل آخرون.

ينتمي عمران إلى عائلة فنية، هذا هو المعروف والشائع، لكنه أيضاً ابن لضابط كبير في الجيش "لواء" له مكانته وعلاقاته في دمشق، مما جعل وزير الثقافة يفتتح لابنه معرضاً في العاصمة، ولم يكن الوزير ليقوم بذلك حتى مع أسماء لها باع طويل في التشكيل السوري، وحتى حين كان الوزير يُستبدل في دمشق، لم تكن الرعاية الوزارية تغيب عن معارض عمران، الذي حصل على الجائزة الأولى في النحت في معرض الشباب عام 2002، وربما يكون مستحقاً لها وعن جدارة، لكن العالم بطريقة توزيع الجوائز في التشكيل السوري، يدرك تماماً أنه لم يفز بالجائزة لأن عمله آن ذاك هو الأفضل فقط.

في بداية العقد الماضي كان التكلفة التقديرية لعمل من البرونز من القطع الصغير "ارتفاع 50 سم" تصل إلى أربعة آلاف ليرة، كان حلماً لدي الكثيرين من فناني دمشق أن يتمكنوا من تحويل عمل واحد لهم إلى هذه المادة النبيلة، في الوقت الذي كان فيه عمران يستمتع في مرسمه في باب توما، في تشكيل الطين، وتحويله إلى الصبابين، كي يقولب إلى البرونز بعد أن يكون شمعاً، كانت المنافسة مستحيلة مع شاب لا يبحث عن اللقمة أو المأوى، ويخطط لنيل الدبلوم، فيما يغرق فنانون شباب في معامل "الفايبر كلاس" مقابل مبالغ زهيدة لا تكفي بدل آجار منازلهم، التي خصصوا ركناً منها ليكون مرسماً، كانت أعمال عمران لا تعود إلى المرسم من صالة العرض إلا فيما ندر، فكلها مباعة، وآخرون، تأكلهم الفاقة، وتمحى من أذهانهم خطوط الكتل، ويصبح رسم "اشكتش" عملاً ترفاً لا وقت له، وكبرى أحلامهم أن يعرضوا عملاً في صالة "الشعب" الرسمية، في حين كان عمران يتسلم الجائزة الكبرى في بينالي المحبة عام 2003.

وكانت ثورة، تحول عمران الذي طالما استفاد من الوضع السياسي وملحقاته في دمشق إلى ثائر وفنان حرّ، ومع أنه كان في باريس، يتابع دراسته التي أوفد إليها بموجب بعثة من كلية الفنون الجميلة، إلا أنه قال فيما بعد "في طفولتي، كنت أخاف من حافظ الأسد. شكله وملامحه هي أكثر ما كان يرعبني. أراه مرتفعاً عن الأرض، كإله. عبسة عينيه، صوته الذي يصعب وصفه، صوت يخرج مخنوقاً، رفيعاً كصوت عجوز، دفاتر المدرسة كانت مروّسة بصورته. البيئة المحيطة تزيد الأمر سوءاً إذ تربّي الخوف فينا، الهمس والضحك المكتوم والحذر والهلع، كلها أمور جعلتني أنشأ في بيئة مخيفة، الخوف له صورة.. والصورة مرتبطة به شخصياً".

حسناً، الثورة ليست حكراً على أحد، لكن هل الثورة تجبُ ما قبلها؟ نعم لم يكن عمران ضابطاً أو مسؤولاً، لم يشارك في قتل سوري، لم يهتف باسمه في الشوارع كمدان من قبل السوريين، لكن ألم يكن وزراء الثقافة في معارضه يمثلون شبكة العلاقات والمال؟ ألم تكن تلك الجوائز التي انهالت عليه تعكس رضى كاملاً من حكام دمشق وحاشيتها؟ ألم يستفد من الجو السياسي والاجتماعي في البلاد؟.

تشكيلاً، لم يكن قد اكتمل رجلٌ كذلك الذي نحته عمران بتعبيرية حساسة، يتلوى في سكونه، أعصاب الرقبة مشدودة تسحبك معها إلى عمق التكوين، الأصابع تحاول النهوض لكن القدم متسمرة في الأرض تقاوم التحرك، كتلة شيقة تجبرك على أن تقف أمامها لتراقب، هل سيتحرك؟ ثم يبهرك في آخر معرض له في دمشق، الأعضاء التناسلية ظاهرة، العضو في حالة انتصاب، وهناك يمارس رجل مع امرأة الجنس، وضعيات إباحية مباشرة، شخوص عمران تقدم عرضاً كاملاً بلا حياء، بينما يقول هو عن تحوله إلى الرسم منذ انطلاق ثورة البلاد "أنا أرسم كما استقبل الأحداث، وهذا ليس بمثابة تعليق عليها، كما أنني لا أريده أن يشبه الكاريكاتور، وإن تقاطع معه، بل أريده ألماً ناطقاً".

صُنف عمران كواحد من فناني الثورة في البلاد، فيما كانت دمشق بوسطها التشكيلي تكيل لها الشتائم، فكيف للابن البار أن يخرج من عباءة السلطة، التي رعته، قررت جامعة دمشق وقف إيفاده، وقطعت مصاريف تعليمه في باريس، استمر هو في عمله من العاصمة الفرنسية، بينما بقي أصدقاؤه في الظل الجديد الذي خلفته الثورة، وخرج هو من نور ما كان، إلى نور كائن ويكون.

هذه السلسلة بالتعاون مع:

كلنا مواطنون
We are all Citizens

من المواطنة إلى الدولة المدنية

■إعداد المحامي فارس حسّان

يقابل ثورات الربيع العربي اليوم، ثوراتٌ مضادة تهدف إلى تشويه تجربة الشعوب الثائرة ومحاولة شيطنتها، وتحميلها أوزار العالم كله، وعدم قدرتها على التعايش مع الآخر، ومحاولات إيجاد انقسام عمودي في مجتمعاتنا، على اعتبار أن هذه الشعوب تعاني من أزمة في تطبيق مبادىء المواطنة والديمقراطية.

والثورة المضادة تستهدف العودة بدول المنطقة إلى مرحلة ما قبل الثورات من ظلم واستبداد وفساد، وتمثل ذلك بالانقلاب العسكري في مصر، ومحاولة إعاقة فاشلة للتوافق على الدستور في تونس، وإمهال النظام السوري المزيد من الوقت لمعاركه التدميرية والإجرامية تحت شعار محاربة إرهاب هو أوجده، وتأمين أمن الكيان الصهيوني، وإعاقة المسار الانتقالي في اليمن من خلال الدعم العسكري للحوثيين الذين أصبحوا في ساحات العاصمة صنعاء.

ولا حلَّ أمام الشعوب الثائرة سواء التي أتمت المرحلة الأولى من الثورة كما في التونسية، أو التي مازالت في معركتها ضد الطغيان تبني المواطنة كشعار وحاضنة لكل الأفكار في الطريق لبناء الدولة المدنية، وللخروج من المأزق الطائفي والإثني الذي زامن الربيع العربي، كان لابد من العمل الجاد والدؤوب لتحقيق المواطنة، والدولة المدنية، دولة القانون، الدولة العادلة التي تنظر بعين واحدة إلى جميع مواطنيها، وتطبق القانون على الجميع بلا استثناء أو تمييز، وتوفر الأمن والأمان والاستقرار لجميع أبنائها، وتعامل الجميع على قدم المساواة، وتحافظ على كرامة كل مواطن فجميع المواطنين أبناؤها، وهي مسؤولة عنهم.

ولتحقيق هذه المفاهيم والأسس التي يُبنى عليها المجتمع، لا بدَّ من إحداث تغيير في ثقافة المجتمع، ثقافة الحاكم وثقافة المحكوم «المواطن» على حد سواء، وهذا يعني بالنسبة للحاكم، أن يقتنع بأنه إنما أسند إليه المنصب ليكون في خدمة المواطنين كل المواطنين، لا لخدمة أبناء ملّته ومذهبه وأنصاره، أما بالنسبة للمواطن، فالتغيير في ثقافته يقصد به أن تكون الدولة وحدها مرجعيته في سعيه إلى تحقيق مطالبه وتوفير خدماته، لأن له حقوق المواطنة، وعليه لايجب أن تكون مرجعيته الطائفة أو المذهب أو الحزب أو الزعيم وأن يكون ولاؤه للوطن وللدولة لا لغيرهما.

فالدولة المدنية لا تستقيم إلا بشرط المواطنة، ويتعلق هذا الشرط بتعريف الفرد الذى يعيش على أرض هذه الدولة، فهذا الفرد لا يُعرف بمهنته أو بدينه أو بإقليمه أو بماله أو بسلطته، وإنما يُعرف تعريفاً قانونياً اجتماعياً بأنه مواطن، أي أنه عضو في المجتمع له حقوق وعليه واجبات، وهو يتساوى فيها مع جميع المواطنين، فإذا كان القانون يؤسس في الدولة المدنية لقيمة العدل، وإذا كانت الثقافة المدنية تؤسس لقيمة السلام الاجتماعي، فإن المواطنة تؤسس في الدولة المدنية قيمة المساواة، فالمواطنون يتساوون أمام القانون ولكل منهم حقوق وعليه التزامات تجاه المجتمع الذي يعيشون فيه.

الدولة المدنية

من المؤكد أن «الدولة المدنية» هي أبرز انجاز وصل إليه الإنسان خلال العصور الحديثة، ففي الدولة الحديثة يتساوى المواطنون ويتمتعون بالفرص كاملة غير منقوصة، ومن المؤكد أن مبدأ المواطنة هو المبدأ المشترك الذي يجمع بين أبناء هذه الدولة بغض النظر عن انتماءاتهم الدينية والقومية والمذهبية والعرقية، فالدولة المدنية تحافظ وتحمي كل أعضاء المجتمع بغض النظر عن انتماءاتهم.

هناك عدة مبادئ ينبغي توافرها في الدولة المدنية وإن نقص أحدها لا تتحقق شروط تلك الدولة، أهمها أن تقوم على السلام والتسامح وقبول الآخر والمساواة في الحقوق والواجبات، فتضمن حقوق جميع المواطنين، ومن أهم مبادئ الدولة المدنية ألا يخضع أي فرد فيها لانتهاك حقوقه من قبل فرد آخر أو طرف آخر، لأن هناك دوماً سلطة عليا هي سلطة الدولة والتي يلجأ إليها الأفراد عندما يتم انتهاك حقوقهم أو تهدد بالانتهاك، فالدولة هي التي تطبق القانون وتمنع الأطراف من أن يطبقوا أشكال العقاب بأنفسهم.

ومن أهم مبادئ الدولة المدنية أنها لا تتأسس على خلط الدين بالسياسة، كما أنها لاتعادي الدين أو ترفضه فهو يظل في الدولة المدنية عاملاً في بناء الأخلاق وخلق الطاقة للعمل والإنجاز والتقدم، وترفض استخدامه لتحقيق أهداف سياسية، فذلك يتنافى مع مبدأ التعدد الذي تقوم عليه الدولة المدنية، كما أن هذا الأمر قد يعتبر من أهم العوامل التي تحول الدين إلى موضوع خلافي وجدلي وإلى تفسيرات قد تبعده عن عالم القداسة وتدخل به إلى عالم المصالح الدنيوية الضيقة.

الدولة المدنية نتاج التطور التاريخي الذي ارتبط بمرحلة الرومانسية، التي هيأت السبل، لاندلاع الثورة الصناعية فيما بعد وهي جزء من سيرورة عصر التنوير وأساسها التبشير بنشوء دول حديثة تقوم على مبادئ المساواة ورعاية الحقوق، وتنطلق من قيم وضوابط في الحكم والسيادة. وفكرة الدولة المدنية تبلورت عبر إسهامات متعددة من مصادر مختلفة في العلوم الاجتماعية.

وقد انطلق المفكرون والفلاسفة الذين أسهموا في صياغة فكرة الدولة المدنية، من اعتقاد راسخ بأن الطبيعة تقوم على الفوضى وطغيان الأقوى، حيث تسود نزعات القوة والسيطرة والغضب، ويغيب التسامح والتعاون من أجل العيش المشترك.

فتأسيس الدولة المدنية هو الذي يتكفل بلجم نزعات القوة والسيطرة، ويصدُّ البشر عن الاعتداء على بعضهم، وشرط تحقق ذلك، هو تدشين مؤسسات سياسية وقانونية، بعيدة عن هيمنة النزعات الفردية أو الفئوية، ومن المهام التي تضطلع بها الدولة المدنية، تنظيم الحياة العامة وحماية الملكية الخاصة، وشؤون التعاقد، وأن يطبق القانون على جميع الناس بغض النظر عن مواقعهم وانتماءاتهم.

والأهم في الدولة المدنية، هو تمثيلها لإرادة المجتمع؛ كونها تنبع من إجماع الأمة ومن إرادتها المشتركة، إن ذلك يعني أنها دولة قانون، فهي اتحاد أفراد يخضعون لنظام من القوانين، ويعيشون في مجتمع واحد، مع وجود قضاء مستقل يطبق هذه القوانين بإرساء مبادئ العدل، فلا تنتهك حقوق أي من أفراده، من قبل أي كان، ويتحقق العدل من خلال وجود سلطة عليا، تحمي حقوق المجتمع، أفراداً وجماعات، وتمنع أي نوع من الانتهاكات أو التعديات عليها، وتستند هذه الدولة على شبكة من العلاقات، قوامها التسامح وقبول الآخر والمساواة بالحقوق والواجبات، وتؤسس هذه القيم لثقافة الاتفاق؛ المستندة إلى احترام القانون، وإلى السلام والعيش المشترك، ورفض العنف، وإلى القيم الإنسانية العامة، ورفض النزعات التي يغلب عليها طابع التطرف.

تاريخ من لا تاريخ لهم
يوميات سجين

■ أحمد سويدان
1991 - 1994

1993 / 1 / 25

سألت الطبيب اسماعيل استنبولي حول حالة يباس الشفتين، ونشفان الريق والشوق الدائم لتناول الماء قال: هي حالة نفسية نعانيها جميعاً، فإذا لم تظهر إلى العلن، فهي تظهر في أوجه عدة، وتخلّف بعض الاحتراقات في العملية الفيزيولوجية.

قلّت أخبار الإفراج، والزيارات انقطعت في اليومين الماضيين.

الأغلبية تتحدث عن الديمقراطية وصندوق الانتخاب، وضرورة السير بالعملية إلى النهاية وحول ما يجري في الجزائر، وهناك من يؤيد المجلس العسكري وبوضياف كفترة انتقالية من أجل قطع الطريق على دولة إسلامية، وحول هذين الموقفين يحتدم النقاش.

الساعة الآن الثانية بعد الظهر، تغدينا وشربنا الشاي، ومنا من نام، ومنا من انصرف إلى المذياع واضعاً السماعات على أذنيه، ومنا من نهض ليمشي في الممر، والبعض يبحث عن البعض لاستكمال مجلس الورق.

السماء تبدو من الشبابيك زرقاء صافية، ولم نخرج إلى الساحة لننعم بمنظر الشمس.. لكن المساء في الممر يرشح بالبرودة والرطوبة.

تبدو لي حالة شرب الماء الكثيف واليباس في الفم وجفاف الريق وتبخر الرواء كمن أصيب بالذعر، فيسارع من حوله لنجدته بكوب ماء يشربه على دفعات كي يسترجع حالة افتقدها..

منذ أيام أجرت «مونت كارلو» مقابلة مع وائل السواح لمدة ساعة، كان اللقاء بارداً، وائل كان معنا في الجناح الخلفي، وكنت أعتقد أنه سيكون حاراً وأكثر طزاجة بأفكاره الأدبية والسياسية، وقد خيّب ظني.. على كل أعذره فالسجن له عواقب وخيمة.

كما أذاعت المحطة نفسها خبر وفاة محمود رياض أمين الجامعة العربية السابق، محمود رياض كان سفيراً لمصر في سورية قبيل الوحدة وهو الذي مهد للوحدة، وكان إلى جانب المالكي عندما اغتيل عام 1955 في الملعب البلدي في دمشق.

1993 / 1 / 26

مازالت التأكيدات على قرار الإفراج تتوالى في الزيارات، وأن هذا سيتم على أبعد تقدير في آذار القادم، المنتظرون في المحافظات البعيدة عقدوا حلقات الاستقبال والقهوة المرة.. وهم يأملون ليل نهار، هذه الحالات من خيبة الأمل أودت بحياة الكثيرين.

هذا يوم الخدمة بالنسبة لي، طبخ وجلي وتنظيف المهجع.

لا شك أن رواية فلوبير حسنة العبارة، رشيقة الصياغة، لكن الترجمة تعيسة وبائسة وتجارية وهي طباعة شركة الكتاب اللبناني.

في الرواية لا يوجد لدى الكاتب أي تلميح عن احتلال الجزائر من قبل حكومة جائرة، إنه يذكر انتفاضة «بالريمو» في إيطاليا، وينادي بسقوط حكومة «غيزو» كما يذكر مساوئ وفساد الحياة البرجوازية، وضرورة الفوز بالديمقراطية، لكن استعمار الآخرين وقهرهم، ومقاومة عبد القادر الجزائري النبيلة والرائعة بين عامي 1831 - 1848 لا تستحق ذكراً ولا تنويهاً، كأن انتفاضة «بالريمو» الأوربية أهم من شعب يداس ويتم احتلال وطنه، يا له من موقف منحازٍ وأوربي بامتياز خالٍ من الإنسانية.

منذ يومين سمعت قصة مؤثرة قصة الطيار البطل، حائز وسام الجمهورية المدعو عثمان أصفر من اللاذقية، هذا الضابط كان برتبة رائد في حرب تشرين وكان طياراً لامعاً، أسر من قبل العدو وسألوه أثناء التحقيق: «كم صاروخاً تحمل طائرتك؟»، وهي تحمل أربعة، فأجاب: «تحمل خمسة»، وهنا صححوا له الرقم فرد قائلاً: «ألم تدركوا أنني الخامس!».

في أوائل الثمانينات قبض على الضابط وأودع السجن بتهمة التعاون مع النظام العراقي، واستمر إلى عام 1991 شهر كانون الأول، وبما أنه بلا زيارة فلم يكن يعلم عن زواج زوجته عام 1988، وعندما أفرج عنه وذهب إلى بيته فوجئ أن بيته ليس له، وأنه أصبح من حق غيره، فذهب إلى أصدقائه، لأن أهله ماتوا ولم يكن لهم بيت، وهذه مأساة من مآسي السجن.

1993 / 1 / 27

النهار مضى دون أخبار، السجين دوماً بحاجة لأخبار وإلى أقوال يصنع منها أخباراً، أي خبر يرد لا يلفت انتباه الرجل العادي، يمسك به السجين من تلابيبه، وبروح يحتك به حتى يقدح شراراً.. يشعل من القدح سيكارة، أو ثياباً، ويصنع حريقاً يحرق به السجن أو يحرق نفسه.

عندما يأتينا الخبر، ومن شفة إلى شفة يتحول إلى حدَث، والحدث إلى تاريخ، وعندما يأتي في اليوم الثاني قول آخر يذهب بالأول نهائياً، وينسى الإخباريون أنهم كانوا يلهجون به.. الناس في الخارج ينقلون، وفي الداخل يزخرفون، حتى أن نقل الأخبار صار «علماً» من علومنا، وهو في الحقيقة تراكم من الزخارف والإطارات، نأت عن الحقائق، كما هو بحر الصين عن بحر العرب.. لقد شبعنا سجناً ونقلاً للأخبار.

يمرُّ تيار البرد كالسم يسري.. البعض يرتدي عدة جرابات، والبعض يرتدي فوق الجرابات جزمة من الصوف (مدقوقة بالصنارة محلياً، أسفلها مغطى بالجلد أو بقماش من فيلد أو جينز، والجميع يجلس تحت البطانيات، ضعاف البنية يرتدون ثياباً تزن نصف وزنهم. هذا أبو سليمان الخربوطلي إذا بدأ يخلع بيجامته وسرواله لا بد أن يترك كومة من الثياب بارتفاع نصف متر.. والمحامي يوسف السعيد لا يجرؤ على النوم قبل الثانية، وهو ذاهب للتبول بسبب التهاب المجاري البولية، وتوفيق إسماعيل من حصين البحر يشكو من تنميل في كتفه الأيسر، ومنذر خدام يقول أن الهواء البارد صفعه، وقد دوّخه الصداع، وظهرت عليه بوادر «كريب».

تحريرنا من هذا الصقيع أهم من تحريرنا من السجن.. علي الرفاعي قبل خروجه من السجن قال: إن التحرير من البرد أهم من التحرير من السجن.. وافقه على ذلك جمال الحموي.

محمد علي الكبسي: كيمياء الربيع التونسي والعربي

■ ياسر مرزوق

لابد من التأكيد أن ما جرى في تونس ومصر وأخواتها من دول الربيع العربي، ثوراتٌ مستمدة من كونها رد فعلٍ غاضب ويائس أحياناً، على عقودٍ من حكم أنظمةٍ جمعت الاستبداد إلى الانخراط في عملية التحويل الهيكلي لاقتصاديات بلادها، نحو اقتصادٍ ريعي فاسد يراعي مصالح الفئة الحاكمة ومحيطها فقط، ما اضطرها إلى المزيد من الاستبداد لتطبيق إملاءات البنك الدولي، وقد عبر شعار «عمل، حرية، خبز» في صيغته التونسية، التعبير الأدق عن هذا التلازم بين الاحتجاج على البطالة، الناجمة عن ترييع الاقتصاديات، واختيار طريق التحول الديمقراطي، والتوق إلى العدالة الاجتماعية في مواجهة القهر والفساد والإفقار.

يتصدى كتابنا اليوم للمؤلف التونسي محمد علي الكبسي لتأكيد ما سبق، ودحض الفكرة التي راجت إعلامياً، - روج لها باحثون أمريكيون من أمثال « ريفا بهالا «مديرة الأبحاث في مؤسسة ستراتفورد الأمريكية المتخصصة بالاستخبارات - بأن ما حدث في مصر أولاً وتونس ثانياً لم يكن تغييراً للنظام إنما هو عملية مدروسة لانتقال السلطة، ويؤكد أن ما جرى في تونس لم يكن حدثاً طبيعياً دورياً أو عابراً، بل هو عملية مستمرة تطمح إلى تغيير جذري في بنى ومؤسسات الدولة والمجتمع، وبوابة لعصر جديد من الرؤى والوقائع والأفكار.

ينطلق الكاتب من فكرة أن الثورات التي غيرت رؤساء وحكومات ومعارضات، لا بد أن تقلب المفاهيم والنظريات التي لم تعد مواكبةً للعهد الجديد، ولم تعد قادرةً على الدفاع عن مشروعيتها واستمرار وجودها، كما طرح المؤلف الكبسي أسئلةً عديدةً عن علاقة الثورات، بما فيها تلك التي تحدُث في دول المركز، بالعوامل الخارجية والقوى التي تتحكم في المجال الجيو سياسي.

في الفصل الأول وتحت عنوان « ثورة وثلاثة أسماء « يضيء الكاتب على دور شبكات التواصل الاجتماعي في التحشيد والتحفيز للثورة، مؤكداً ما تناقلته وسائل الإعلام الأمريكية، عن دور شبكات التواصل الاجتماعي، متضمنةً المدونات والفيس بوك في انطلاق الأحداث في تونس، إلا أنه يرى أن النظر إلى الثورة من بعد واحد، وهو البعد التقني، يمثل قراءةً خاطئةً للأحداث والوقائع التي جرت في تونس أو مصر، فانعدام الديمقراطية، والخلل الديمغرافي الواضح قياساً للتنمية والمحسوبية والفساد والبطالة وانسداد الأفق، كفيلة بدفع الشباب اليائس للخروج إلى الساحات للتعبير عن الغضب، كل هذا لا يمكن أن تختزل دلالاته في المدوّنة، أو الموقع، أو الشبكة العنكبوتية.

لا يكتفي المؤلف في التصدي للقراءات الغربية أو الأجنبية السطحية لما حدث في تونس، بل يقلّب في القراءات التي تعكس نظرات الشعوب والإعلام إلى ما حدث في بلاده، ففي روسيا مثلاً أطلق على الثورة التونسية «ثورة التمور» لأن ما يعرفه الروس في جنوب تونس هو الواحات، هذه التسمية أتت أقل عمقاً إلى حد كبير من الوصف الأمريكي للثورة التي وسمها بـ«ثورة الانترنت»، كذلك يتحدث عن تسمية «ثورة الياسمين» التي اختارها الإعلام الفرنسي، غاضّاً الطرْف عن دعْم الحكومات الفرنسية لنظام بن علي والشراكة معه أحياناً في صفقات الفساد.

في الفصل الثاني وتحت عنوان « من ربيع العربان إلى ربيع الشعوب «، يعود المؤرخ إلى التاريخ في بحث جدلية العلاقة بين الثورات والعوامل الخارجية والقوى التي تتحكم في المجال الجيوسياسي، عبْر مقاربة تاريخية لما حصل في ثورة علي بن غذاهم عام 1864 والتي تحمل ذات الأسباب التي دعت التونسيين للثورة عام 2011، مقارناً بين الوثائق الفرنسية والوثائق الإنكليزية، التي تحمل كل منها الطرف الآخر المسؤولية عن وقوع ثورة 1864، مهملةً الحالة الاجتماعية والسياسية في البلاد وصراع القبائل، والزوايا، وقصر باردو، وكامل رعايا الإيالة، محولةً الواقع التونسي وقواه السياسية والاجتماعية إلى أحجار على رقعة شطرنج القوى العظمى في حينِه.

في الفصل الثالث والأخير وتحت عنوان « الجمهورية الثانية « يشير المؤلف إلى أن الجماهير التونسية التي اقتحمت الساحات كانت تهدف للانعتاق من الجمهورية العميقة التي أسسها بورقيبة وأتمها وزير داخليته بن علي لاحقاً، الجمهورية المبنية على القمع والفساد وحكم الحزب الواحد، مع غطاءٍ تجميلي يعنى بحقوق المرأة لإخفاء فشل التنمية وجمهورية الخدمات والسياحة.

وفي الوقت الذي بات العالم كلُّه ينظر بكثير من الإعجاب لما يحدث في تونس، يرى المؤلف أنه من الضروري جدًّا الانتباه لمفهوم التسامح مادام في الإمكان أن يكون المرء ثوريًّا ومضادًّا للتعصب والعنف في آنٍ واحدٍ، ومادام الأفق قد انفتح عن إيمان جديد قاعدته التسامح، لا القصاص، والإصغاء إلى صوت الآخرين، لا إلى صوت المقصلة، من دون أن يعنيَ هذا التسامحُ عقْدَ تسويات في الكواليس، أو الهرولة من أجل تقديم التنازلات.

في الفصل الرابع والأخير وتحت عنوان «حوار الثورات «، يتحدث المؤلف عن النماذج الاحتجاجية التي سادت المشهد في الربيع العربي، مقسِّماً إيّاها إلى ثلاثة نماذج: «نموذج الميادين والاعتصامات المتواصلة لإسقاط الأنظمة»، وظهر هذا النموذج في تونس، مصر، اليمن، ونموذج «استعراض القوة والحرب الأهلية» الذي ظهر في ليبيا وسورية، والنموذج الثالث «تظاهر الشعب وتنازلات الأنظمة» الذي ظهر في دول عربية من بينها الأردن، المغرب، والجزائر.

وفي الختام يرى المؤلف أن تونس قدمت للبشرية ما فشل هنيبعل في تحقيقه من نقلٍ للتجربة الانسانية المشرقية إلى الغربِ، وها هي تونس اليوم تقدم للبشرية أفقاً مغايراً لعالم تحكمه مبادىء العدالة ولتغيير سلمي للأنظمة، فتكون بدايةً لعصر جديد تتغير فيه ألوان الثورات من الأحمر القاني إلى البرتقالي، بوصفها مقدمةً ضروريةً لنجاح التسامح؛ لأنه أحد أهمّ أهداف الربيع العربي.

محمد علي الكبسي

من مواليد تونس، حائز على دكتوراه دولة في الفلسفة السياسية العربية، عمل في عدد من المنتديات الفكرية والمنظمات الثقافية، وهو مؤسس جمعية مدارات فكرية، وعضو في منظمة اليونسكو عن مقعد الفلسفة العربية.

من أعماله: «في النهضة والحداثة: حفريات في مفهوم الكتابة والدولة والوطنية والشرعية الدولية»، «قراءات في الفكر الفلسفي المعاصر»، «الطوباوية والتراث»، «نشأة الفكر السياسي عند العرب»، «الفكر السياسي العربي من التطور إلى المصطلح»، «مستقبل العلاقة بين المثقف والسلطة».

أنا عندليب الشفاء، وإني محلق نحوك لأنزع عنك السقم الذي فيك
ريف حلب - 2012 | تصوير: باسل حسو

كاريكاتير الفنان عبد المهيمن بدوي

للمراسلات والتواصل مع هيئة التحرير souriatna@gmail.com